آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ
فِي إِعْجَازِ القُرْآنِ
فِي إِخْبَارِهِ عَنْ المُغَيَّبَاتِ

(دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ)

كَتَبَهُ

الفَقِيرُ إلى عَفْوِ رَبِّهِ البَارِي

عَرَفَةُ بْنُ طَنْطَاوِيّ

عَفَا اللَّهُ عَنْهُ

وَغَفَرَ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِذُرِّيَّتِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

عَمِيدُ كُلِّيَّةِ أُصُولِ الدِّينِ والدِّرَاسَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ
بِجَامِعَةِ خَاتَمِ المُرْسَلِينَ العَالَمِيَّةِ
وَأُسْتَاذُ التَّفْسِيرِ وَعُلُومِ القُرْآنِ لِلدِّرَاسَاتِ العُلْيَا
بِالجَامِعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالمَعْهَدِ العَالِي لِلأَئِمَّةِ والخُطَبَاءِ بِمِينِيسُوتَا
وَالرَّئِيسُ العَامُ لِمَرْكَزِ تَأْصِيلِ عُلُومِ التَّنْزِيلِ
لِلبُحُوثِ العِلْمِيَّةِ وَالدِّرَاسَاتِ القُرْآنِيَّةِ

(١٤٤٣ هـ)

من إصدارات

https://taaselcenter.com
arafatantawy1440@gmail.com
+966503722153

مجلة البحوث الإسلامية

Journal of Islamic Research

إصدار علمي متخصص جامعي محكم

Scholarly Academic Refereed Bulletin
Concerned With Scholarly Research

الرقـــــم: ٨/٤٩٢٠
التـــاريخ: ١٤٤٣/٥/٢٢هـ
المرفقات: --.

إلى من يهمه الأمر

يرجى التكرم بالعلم بأن البحث المقدم من:

الدكتور / عرفـــة بن طنـــطاوي.

عَمِيدُ كُلِّيَّةِ أُصُولِ الدِّينِ والدِرَاسَاتِ الإِسْلَامِيةِ بِجَامِعَةِ خَاتَمِ المُرْسَلِينَ العَالَمِيَّةِ، وَأُسْـتَاذُ التَّفْـسِيرِ وَعُلُومِ القُرآنِ للدِّرَاسَاتِ العُلْيَا، بالجَامِعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ والمَعْهَدِ العَالِي للأَئِمَّـةِ والخُطَبَـاءِ، بـــ"مِنِيـسُوتَا"، وَالرَّئِيسُ العَامُ لِمَرْكَزِ تَأْصِيلِ عُلُومِ التَنْزِيلِ لِلبُحُوثِ العِلْمِيةِ وَالدِّرَاسَاتِ القُرآنِيةِ.

وعنوانه: (آيات بينات في إعجاز القرآن في إخباره عن المغيبات دراسة تحليلية موضوعية).

قد ورد إلى هيئة الإصدار، وخضع للتحكيم العلمي المتخصص، وأجيز للنشر بأحد أعداد المجلة في ١٤٤٣/٥/٢٢هـــ، وقد رأت هيئة تحرير المجلة نشره بالعدد السادس والسبعين منها، والذي صدر في شهر جمادى الآخرة ١٤٤٣هـــ، هذا وبالله التوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مؤسس الإصدار ورئيس تحريره

أ. د. عبد الفتاح محمود إدريس

رقم إيداع المجلة بدار الكتب المصرية (٢٠١٥/٢٤٢٦٠) - الترقيم الدولي الموحد لها: (ISSN. ٢٥٣٦ - ٩٣١٨)

رابط موقع المجلة على الانترنت: journalofislamicresearch.com

رقم المجلة ضمن قائمة الدوريات المفهرسة في قائمة: Islamic Info (٤١٦)

رابط معامل التأثير العربي للمجلة: https://www.arabimpactfactor.com/pages/tafaseljournal.php?id=٨٤٨٧

جمهورية مصر العربية، القاهرة، مساكن مدينة نصر، رمز بريدي: ١١٣٧١، ص. ب: ٨١٣١

Arab Republic of Egypt- Cairo, Housing of Nasr City, Post code: ١١٣٧١- P.O.Box, ٨١٣١

Tel: ٠٠٢٠٢ / ٢٣٢٧٤٠٢٠ –Mob: ٠٠٢/ ٠١٠٠٣٨٥٠٢٤٧ :Fax: ٠٠٢٠٢ / ٢٣٢٧٤٠٢٠

E-mail :dr.edris@hotmail.com

موسوعة تأصيل علوم التنزيل

(١٥)

آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ
فِي إِعْجَازِ القُرْآنِ
فِي إِخْبَارِهِ عَنْ المُغَيَّبَاتِ

(دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ)

كَتَبَهُ

الفَقِيرُ إلى عَفْوِ رَبِّهِ البَارِي

عرفة بن طنطاوي

عَفَا اللَّهُ عَنْهُ

وَغَفَرَ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِذُرِّيَّتِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

عَمِيدُ كُلِّيَّةِ أُصُولِ الدِّينِ والدِّرَاسَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ

بِجَامِعَةِ خَاتَمِ المُرْسَلِينَ العَالَمِيَّةِ

وَأُسْتَاذُ التَّفْسِيرِ وَعُلُومِ القُرْآنِ لِلدِّرَاسَاتِ العُلْيَا

بِالجَامِعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالمَعْهَدِ العَالِي لِلأَئِمَّةِ والخُطَبَاءِ بِمِينِيسُوتَا

وَالرَّئِيسُ العَامُ لِمَرْكَزِ تَأْصِيلِ عُلُومِ التَّنْزِيلِ لِلبُحُوثِ العِلْمِيَّةِ وَالدِّرَاسَاتِ القُرْآنِيَّةِ

١٤٤٣هـ

دِيْبَاجَةُ البَحْث

الحمدُ لله الذي أنزلَ كتابَه المجيدَ على أحسنِ أسلوب، وبهرَ بحسنِ أساليبِه وبلاغةِ تركيبِه القلوب، نزَّله آياتٍ بيّناتٍ، وفصَّله سورًا وآياتٍ، ورتَّبَه بحكمتِه البالغةِ أحسنَ ترتيب، نظَمَه أعظمَ نظامٍ بأفصحِ لفظٍ وأبلغِ تركيبٍ، وصلَّى الله على من أُنزل إليه لينذرَ به وذكرى، ونزله على قلبِهِ الشَّريفِ فنفى عنه الحرجَ وشرحَ له صدرًا، وعلى آله وصحبِه مهاجرةً ونصرًا..[1].

أما بَعدُ

ملخص البحث

فهذا بحثٌ لطيفٌ مختصرٌ مفيدٌ، أسماه مُؤلِفُهُ: " آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي إِعْجَازِ القُرْآنِ فِي إِخْبَارِهِ عَنْ المغَيَّبَاتِ"، وقد تناول فيه أوجهَ إِعْجَازِ القُرْآنِ فِي إِخْبَارِهِ عَنْ المغَيَّبَاتِ،

ودلَّلَ فيه على أن تحقق هذا النوع من الإعجاز "خاصة" فيه أعظم الدلائل والبراهين على أن القرآن كلام رب العالمين الذي أوحاه إلى رسوله الأمين- صلى الله عليه وسلم -، كما أنه متضمن لأعظم الدلائل والبراهين الدالة على صدق النبوة وصحة الرسالة وكمال الدين.

Research Summary

This is a nice، brief and useful treatise، whose author called it: “Evident verses in the miracles of the Qur’an in telling him about the unseen.”

And he demonstrated in it that this kind of “miracle” was achieved، in it the greatest evidence and proofs that the Qur’an is the word of the Lord of the Worlds، who revealed it to His faithful Messenger - may God’s prayers and peace be upon him -. It also contains the greatest evidence and proofs of the sincerity of prophecy، the validity of the message and the perfection of religion.

---

[1] يُنظر: أسرار ترتيب القرآن للسيوطي: (ص:٦٥). أسرار ترتيب القرآن المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع عدد الأجزاء: ١.

شبكة الألوكة www.alukah.net

خطة البحث

وقد ضمَّن الباحثُ بحثَه خطة بحث مكونة من أربعة فصول، وكل فصل يندرج تحته عدد من المباحث، وكل مبحث يندرج تحته عدد من المطالب، وقد بيَّن فيه ما يلي:

أولًا: أهمية موضوع البحث

ثانيًا: أهم الدراسات السابقة وأبرزها

ثالثًا: أسباب ودواعي اختيار موضوع البحث

رابعًا: أهداف البحث

خامسًا: منهج البحث

سادسًا: خاتمة البحث، وبيان أهم النتائج التي توصلت لها تلك الدراسة المختصرة.

سابعًا: مجموع الفهارس

وخطة البحث تشتمل على أربعة فصول على النحو التالي:

الفصل الأول

الإعجاز والمعجزة

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الإعجاز والمعجزة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بيان مفهوم الإعجاز في اللغة

المطلب الثاني: بيان مفهوم المعجزة في اللغة

المطلب الثالث: بيان مفهوم الإعجاز والمعجزة اصطلاحًا

المبحث الثاني: مفهوم الغيب

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الغيب لغةً

المطلب الثاني: مفهوم الغيب اصطلاحًا

المبحث الثالث: مفهوم الإعجاز الغيبي

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الإعجاز الغيبي في الاصطلاح

المطلب الثاني: مفهوم الإعجاز الغيبي في القرآن

المطلب الثالث: مفهوم الغيب المطلق في الاصطلاح

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الرابع: من مشاهد الغيب المطلق في القرآن

المبحث الرابع: أصول الْمُغَيَّبات في القرآن

وفيه ثلاثة مطالب:

أما عن أُصول الْمُغَيَّبات في القرآن فإنها ترجع إلى ثلاثة أمور

وهي على ما يلي بيانه في المطالب التالية:

المطلب الاول: الإخبار عن رب العزة تبارك وتعالى

المطلب الثاني: الإخبار عن الأُمم السابقة وأحوالها

المطلب الثالث: الإخبار عن بعض آيات الكونية وما يجري فيها من قضاء الله وقدره

الفصل الثاني

الْمُغَيَّبات التي تَتَعلَّق بالماضي

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أقسام الْمُغَيَّبات في القرآن إجمالًا

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الْمُغَيَّبات التي تَتَعلَّق بالماضي السَّحِيق

المطلب الثاني: الْمُغَيَّبات التي تَتَعلَّق بالزمن الحاضر الواقع في زمنِ نزول القرآن

المطلب الثالث: الْمُغَيَّبات التي تَتَعلَّق بغُيُوبٍ مستقبلِيَّة

المبحث الثاني: الْمُغَيَّبات التي تَتَعلَّق بالماضي تفصيلًا

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: ذكر نبأ أبينا آدم أبي البشر عليه السلام

المطلب الثاني: ذكر نبأ نوح عليه السلام

المطلب الثالث: ذكر نبأ أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام

المطلب الرابع: ذكر نبأ موسى عليه السلام

المطلب الخامس: ذكر نبأ عيسى عليه السلام

المبحث الثالث: الإخبار عن الكثير من قصص الأولين وأخبار السابقين

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإخبار عن نبأ قوم عاد وثمود وما أصابهما من بلاء وعذاب

المطلب الثاني: الإخبار عن العزير

المطلب الثالث: الإخبار عن أبرهة الأشرم وحادثة الفيل

شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الثالث

الْمُغَيَّبات التي تَتَعلَّق بالزمن الحاضر الواقع في زمنِ نزول القرآن

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الإخبار عن النفاق وحال المنافقين

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الإخبار بما يبطنه الأخنس بن شريق الثقفي

المطلب الثاني: الإخبار بما يبطنه بعض المنافقين من إرادة الفتك برسول الله- صلى الله عليه وسلم -

المطلب الثالث: فضْحُ مَكايد المنافِقين ومُؤامراتهم في اتخاذهم لمسجد الضرار

المطلب الرابع: الإخبار عن إخلاف الوعد من قبل بعض المنافقين

المطلب الخامس: الإخبار عن ابن سَلُول رأس المنافقين

المبحث الثاني: الإخبار عن نصرة الله لرسوله وللمؤمنين والتمكين لهم في الأرض وتحقق ذلك

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تحقق وعد الله بعصمة نبيه - صلى الله عليه وسلم - حتى يبلغ رسالة ربه

المطلب الثاني: الإخبار عن تجمع الأحزاب وتحقق هزيمتهم

المطلب الثالث: الإخبار عن تحقق وعد الله بنصر المؤمنين

المطلب الرابع: الإخبار عن تحقق وعد الله بالاستخلاف في الأرض للنبي- صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ولعموم المؤمنين من أمته

المطلب الخامس: الإخبار عن تحقق وعد الله بعودة النبي لمكة بعد أن أخرجه قومه منها

المطلب السادس: الإخبار عن تحقق وعد الله بنصرة المهاجرين - خاصة -

الفصل الرابع

الإخبار عن الأمور الغيبية التي تتعلق بغُيُوبٍ مستقبليَّة

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: انتصار الروم على الفرس

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإخبار عن انتصار الروم على الفرس بعد هزيمتهم من قبَلهم أول الأمر

المطلب الثاني: سبب فرح المؤمنين بانتصار الروم على الفرس

المبحث الثاني: وقوع غزوة بدر وانتصار المسلمين فيها

وفيه مطلبان:

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الأول: الإخبار عن وقوع غزوة بدر وانتصار المسلمين فيها، وتحقق ذلك النصر

المطلب الثاني: الثقة بوعد الله بتحقق النصر لا يتنافى مع الأخذ بالأسباب

المبحث الثالث: الإخبارُ عن موت أبي لهب وامرأته على الكفر وتحقق ذلك

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإخبارُ عن موت أبي لهب وامرأته على الكفر

المطلب الثاني: إعجاز القرآن في تحقق نبوءته بموت أبي لهب وامرأته على الكفر

المبحث الرابع: توعد رب العزة تبارك وتعالى الوليد بن المغيرة بالعذاب الأليم والإخبار عن سوء خاتمته وموت على الكفر وتحقق ذلك

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نزول آيات متتابعات في شأن هلاكه

المطلب الثاني: تحقق وعيد رب العزة تبارك وتعالى فيما توعده به والإخبار عن سوء خاتمته وموت على الكفر

المبحث الخامس: تحقق الفتح المبين

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إخبار الله عن رؤيا رسوله – صلى الله عليه وسلم – وتحقق الفتح المبين

المطلب الثاني: من ثمار تحقق وعد الله – عمرة القضاء –

شبكة الألوكة www.alukah.net

منهجية البحث

أولًا: أهمية موضوع البحث

يُعَدُ موضوع البحث من أهم المواضيع التي يُتأكد تناولها وبحثها بشئ من التفصيل والإيضاح والبيان، لعظم متعلقها ألا وهو إثبات إعجاز القرآن في إخباره عن المغَيَّبَاتِ، والتي تُعَدُ من دلائل النبوة، ويترتب عليها من جراء ذلك إثبات النبوة وصدق الرسالة، كما أن في ذلك دليل قاطع وبرهان ساطع، على أن هذا القرآن هو كلام رب البشر، وليس من كلام أي أحد من البشر.

ثانيًا: أهم الدراسات السابقة وأبرزها

لقد كثر التصنيف في إعجاز القرآن عمومًا، وفي الإعجاز الغيبي خصوصًا، لكن أغلب من تناوله ضمَّنه وأدرجه مصنفه، وأما من أفرد موضوع البحث برسالة مستقلة فأغلب تلك الأبحاث مختصرة للغاية غير وافية بالغرض، والكثير منها تناول الإعجاز الغيبي في سورة أو آيات محدودة، ولقد اختار الباحث دراستين اثنتين واكتفى بهما لكون أغلب الأبحاث والأطروحات التي وقف عليها متشابهة أصلًا وموضوعًا ويحاكي بعضها البعض.

الدراسة الأولى: "الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم (دراسة نظرية وتطبيقية على بعض الآيات)"، تأليف: أحمد بن عمر بن أحمد السيد

وصف هذه الدراسة:

هذه الدراسة من منشورات حولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية: مجلة علمية محكمة (كلية دار العلوم-جامعة القاهرة)؛ مركز البحوث والدراسات الإسلامية، السنة السابعة، العدد٢٤.

وتعتبر هذه الدراسة دراسة مختصرة جدًا حيث اشتملت على تمهيد وفصلين وخاتمة، وجاءت في قرابة: (٣٤ صفحة).

وقد تناول الباحث في هذا البحث نوعًا من أنواع الإعجاز وهو الإعجاز الغيبي، وحديث القرآن عنه، وأقسام هذا الإعجاز، والتعريف بكل قسم منه، وتطبيقات لبعض الآيات على كل قسم من هذه الأقسام، والبحث وإن كان جيدًا ومختصًا في بابه غير إنه لم يخل من الملاحظات والتي كان من أبرزها ما يلي:

أبرز الملاحظات والمآخذ على تلك الدراسة:

١- البحث جاء مختصرًا للغاية فذكر أمثلة قليلة جدًا من أنواع الإعجاز الغيبي، وفي نظر الباحث القاصر أنها لم تف بالغرض، فالأمثلة نفسها تحتاج لزيادة إيضاح، وتحتاج المعاضدة بأمثلة أخرى من آيات القرآن الدالة على الإعجاز الغيبي بجميع أنواعه، وقد يُلتمس للعذر للباحث لكونه حدد موضوع بحثه وجعل تطبيقاته على بعض الآيات، وهو وإن كان قد وفى بشرطه غير إن الموضوع لعظم شأنه وجليل قدره يحتاج لزيادة بسط تليق بموضوع البحث وتتناسب مع حجمه كمًا وكيفًا.

٢- إطالة تناول التعريف بالمعجزة في قرابة (١٣ صفحة) على حساب حجم الرسالة وموضوعها الرئيس، وهذا العدد من الصفحات يقارب منتصف عدد صفحات دراسته والذي بلغ(٣٤ صفحة).

شبكة الألوكة www.alukah.net

٣- قد عرف المعجزة وبيّن الفرق بينها وبين الكرامة، لكنه عرفها في ضوء تعريف متكلمي الأشاعرة، فذكر شرط التحدي الذي هو شرط عندهم في تعريف المعجزة.[٢] ، وكذلك ذكر شرط كون الآية خارقة للعادة هو وصف لم يصفه القرآن ولا الحديث ولا السلف، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام في كتاب النبوات.[٣]

الدراسة الثانية: "الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم (دراسة تحليلية نقدية)" تأليف

عمر محمد راجح عمر أبو ليل، أطروحة ماجستير، كلية الدراسات العليا بجامعة النجاح الوطنية، نابلس- فلسطين، بتاريخ: ٢٠١٤/٧/٨م.

وصف هذه الدراسة:

تناول الباحث دراسته بمنهج تحليلي نقدي، وقسمه إلى ثلاثة فصول رئيسية، فتناول في الفصل الأول الكلام عن معاني الإعجاز الغيبي وأبرز تعريفات العلماء له وموقفهم منه، ثم تناول الكلام عن الإعجاز الغيبي، ودلل على أنه مع كونه مُعْجِزًا لكنه لم يقع به التحدي، وهذه النتيجة خلص لها بعد ذكر الأدلة.

ثم ذكر أمثلة الإعجاز الغيبي وقسَّمها على الفصلين الثاني والثالث- أما الفصل الثاني فذكر فيه أبرز الأمثلة الدالة على الإعجاز الغيبي بالإخبار عن المستقبل، وأما الفصل الثالث فذكر فيه أبرز الأمثلة الدالة الإعجاز الغيبي بالإخبار عن الماضي.

أبرز الملاحظات والمآخذ على تلك الدراسة:

١- عرَّف الإعجاز لغة واصطلاحًا، ثم عرَّف إعجاز القرآن كمركب إضافي فحسب، ولم يتناول تعريف المعجزة في الاصطلاح ليميز بين تعريف أهل السنة من تعريف متكلمي الأشاعرة الذين يشترطون فيها التحدي وخرق العادة، كالقاضي أبي الطيب الباقلاني ومن نحا نحوه من المتكلمين.

٢- من المآخذ الشديدة على الباحث نقله بكثرة عن أهل البدع والأهواء كـ"الشريف المرتضى الموسوي" الرافضي [٤] ، ومع ذلك فلم ينوه على عقيدته وتشيعه ورفضه.

٣- أن جُل نقولاته في الإعجاز عن أهل الكلام، وقل أن ينقل عن أهل السنة شيئًا.

---

[٢] يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- في محض الكلام عن أقوال متقدمي الأشاعرة: هي الفعل الخارق للعادة المقترن بدعوى النبوة والاستدلال به وتحدي النبي من دعاهم أن يأتي بمثله وشرط بعضهم أن يكون مما ينفرد الرب بالقدرة عليه، هذه الأربعة هي التي شرط القاضي أبو بكر(الباقلاني) ومن سلك مسلكه ". يُنظر: النبوات: (١/٦٠٠).

[٣] وحول شرط كون الآية خارقة للعادة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله-: وكون الآية خارقة للعادة أو غير خارقة هو وصف لم يصفه القرآن ولا الحديث ولا السلف وقد بينا في غير هذا الموضع أن هذا وصف لا ينضبط وهو عديم التأثير فإن نفس النبوة معتادة للأنبياء خارقة للعادة بالنسبة لغيرهم....". يُنظر: النبوات (١/١٦٣).

[٤]علي بن الحسين بن موسى(٣٥٥-٤٣٦هـ) المعروف بالسيد المرتضى والشريف المرتضى وعلم الهدى، سند الشيعة و نقيب الطالبيين في بغداد وأمير الحاج والمظالم بعد أخيه السيد الرضي، وكان منصب أبيهم قبل ذلك. يُنظر: آغا بزرك الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، (ص:١٢٠-١٢١).

شبكة الألوكة www.alukah.net

٤- تناول الباحثُ المغيبات الواردة في القرآن ولم يقسِّمها حسب الأزمنة الثلاثة، معتمدًا على أنها كلها مغيبات مطلقة، مستندًا إلى آراء لا تنهض للاحتجاج لما ذهب إليه، غير إنه في الفصل الثاني تناول تقسيمه ذكر أمثلة على المغيبات المستقبلية، وفي الفصل الثالث ذكر أمثلة على المغيبات الماضية، وهي قليلة جدًا لا تتناسب مع حجم الموضوع والرسالة كأطروحة علمية.

٥- لقد أقحم الباحثُ ما يسمى بالإعجاز العلمي وأدرجه تحت مسمى الإعجاز الغيبي، ولا شك أن تنزيل آي القرآن على الآيات الكونية والجزم بأنها من الإعجاز العلمي يُعد من الرجم بالغيب.

ما تميزت به تلك الدراسة " آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي إِعْجَازِ القُرْآنِ فِي إِخْبَارِهِ عَنْ المُغَيَّبَاتِ"

لقد تميزت تلك الدراسة بمميزات ولعل من أبرزها ما يلي:

١- أتت تلك الدراسة وافية بالغرضة، وتجنب مؤلفها التطويل الممل والتقصير المخل، فجعلها عوانًا بين ذلك

٢- تناول بيان مفهوم الإعجاز والمعجزة وبيَّن الفرق بينهما، ثم بيَّن مفهوم المعجزة عند أهل هي السنة، وهذا التعريف قلما يلتفت إليه الباحثون

٣- تناول بيان مفهوم الإعجاز الغيبي في الاصطلاح، ومفهومه في القرآن، كما بين مفهوم الغيب المطلق في الاصطلاح وأتى بمشاهد له من القرآن، ثم تناول أصول الْمُغَيَّبات في القرآن

٤- تناول أنواع الْمُغَيَّبات الثلاثة الواردة في القرآن، ثم ساق لكل نوع منها أمثلة متعددة ومتنوعة كافية للغرض موضحة للمعنى وافية بالمقصود، ثم تناولها بالشرح والبيان وزيلها بأقوال أئمة التفسير وسادات التحبير والتأويل

٥- ثم دلل في غير ما موضع من بحثه على أن إعجاز القرآن في إخباره عن المغَيَّبَاتِ، يُعدُ من دلائل النبوة، ويترتب على ذلك إثبات النبوة وصدق الرسالة، وأن هذا القرآن هو كلام رب العالمين ووحيه المبين.

٦- دلل على أن الثقة بوعد الله بتحقق النصر لا يتنافى مع الأخذ بالأسباب.

ثالثًا: أسباب ودواعي اختيار موضوع البحث:

من أعظم وأجل أسباب ودواعي اختيار موضوع البحث الإسهام في تقديم دراسات متكاملة ومتخصصة تعالج موضوع البحث معالجة وافية وشاملة ومتكاملة من كل وجه ولا سيما إن أغلب البحوث المعالجة للإعجاز الغيبي مترامية في بطون أمهات الكتب، وأما ما وقف عليه الباحث من الأبحاث المتخصصة فهي مختصرة للغاية وتفتقر لتنوع وتعدد الأمثلة وإيضاحها في ضوء كلام أئمة التفسير، وهو ما أسهمت به وتناولته تلك الدراسة المتواضعة.

شبكة الألوكة www.alukah.net

رابعًا: أهداف البحث

لهذا البحث أهداف وغيات جد نبيلة، ولعل من أبرزها ما يلي:

١- الانتصار للقرآن بإبراز جانب عظيم ووجه جليل من أعظم جوانب وأجلِّ أوجه إعجازه، ألا وهو الإعجاز الغيبي

٢- التعريف بأُصول الْمُغَيَّبات في القرآن والتنويه عليها والتنبيه على أنها ترجع إلى ثلاثة أمور لا تخرج ولا تنفك عنها البتة،

وهي على النحو التالي:

الأمر الاول: الإخبار عن رب العزة تبارك وتعالى

الأمر الثاني: الإخبار عن الأُمم السابقة وأحوالها

الأمر: الإخبار عن بعض آيات الكونية وما يجري فيها من قضاء الله وقدره

٣- إثبات حجية القرآن وسلامته من التحريف والتغيير والتبديل والزيادة والنقصان وأنه كلام رب العالمين الذي أوحاه لخاتم النبيين وسيد المرسلين- صلى الله عليه وسلم - بواسطة الأمين جبريل- عليه السلام -، وذلك، من خلال إثبات إعجازه بإخباره عن الْمُغَيَّبات وتحققها كما أخبر الله تبارك وتعالى

٤- إثبات النبوة وصدق الرسالة، من خلال ظهور أبرز دلائلها المتمثلة في إعجاز القرآن وإخباره عن الْمُغَيَّبات على لسان نبي أمي لم يتلق قبله من كتاب، ولم يعلمه بشر.

٥- الاستدلال على عظمة الشريعة التي أمرت أهلَ الإيمان بالتوكل على الله وأمرتهم وحثتهم على الأخذ بالأسباب ورغبتهم فيه، مع ثقتهم بتحقق موعود الله بتحقق العزة والتمكين والنصر على الأعداء.

خامسًا: منهج البحث

المنهج التحليلي الاستقرائي الذي يقوم على ما يلي:

١- جمع المعلومات والحقائق من مصادرها الأصلية.

فقد قام الباحث بجمع الآيات القرآنية التي تخبر عن الْمُغَيَّبات ثم قسَّمها حسب أزمنتها الثلاثة، الماضية، والحاضرة (في زمن الرسالة ونزول الوحي) والمستقبلة

٢- ثم القيام بعرضها عرضًا تحليليًا استقرائيًا.

وهو ما عرضه الباحث حيث عرض كل نوع من أنواع المغيبات على حده وقام بدراسته دراسة تحليلية موضوعية

٣- ثم يعقبها في خاتمة البحث باستخراج أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة من خلالها.

وهذا ما ختم به الباحث تلك الدراسة المتواضعة.

شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الأول

الإعجاز والمعجزة

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الإعجاز والمعجزة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بيان مفهوم الإعجاز في اللغة

الإعجاز لغة:

"أعجز: العين والجيم والزاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء "[٥] والإعجاز مصدر للفعل (أعجز)

وهذا اللفظ يأتي في اللغة بعدة معانٍ:

منها: الفوت والسبق، تقول: أعجزه الشيء، **أي:** فاته، وذلك كقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ (فاطر:٤٤)، " أي: ما كان ليسبقه ويفوته من شيء من الأشياء كائنًا ما كان فيهما "[٦] .

ومنها: التضعيف والتوهين، أي: إضعاف الخصم سواء في الأقوال أو الأفعال، **قال الرازي:** " والعجزُ الضُّعف"[٧] ، وذلك كقوله تعالى في خبر ندم قابيل:

﴿ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي ﴾ (المائدة:٣١)، أي: أضعفت أن أستر جثة أخي[٨] ، (قلت): ولذلك أطلق على المرأة المسنة الهرمة لفظ:(عجوز)، لعجزها وضعفها عن الحمل والإنجاب وعن كثير من الأعمال التي كانت تقوم بها في شبابها، قال تعالى: ﴿ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ ﴾ (هود:٧٢).

ومنها: التثبيط والنسبة إلى العجز، تقول: عجَّزه تعجيزًا إذا ثبطه أو نسبه إلى العجز، وذلك كقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ ﴾ (الحج:٥١)، أي:

---

[٥] معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ص/ ٧٣٨. معجم مقاييس اللغة المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. عدد الأجزاء: ٦.

[٦] فتح القدير، للشوكاني ٣٥٦/٤. تفسير الشوكاني: فتح القدير المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

[٧] مختار الصحاح، ص/٤١٣. مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت — صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ١.

[٨] يُنظر: صفوة التفاسير، للصابوني ٣٣٩/١.

شبكة الألوكة www.alukah.net

ظانين ومقدرين أن يعجزوا الله سبحانه ويفوتوه فلا يعذبهم، قاله الزجاج"[٩] (قلت): بمعنى، أنهم نسبوا إليه سبحانه العجز في بعثهم وحسابهم وعذابهم يوم القيامة.

المطلب الثاني: بيان مفهوم المعجزة في اللغة

المعجزة لغة: اسم فاعل من (الإعجاز)، وهي مفرد (المعجزات) وهي: ما أَعجزت الخصمَ، أو: أُعجز بها الخصمُ عند التحدي، والهاء للمبالغة، وسميت بذلك: لعجز الناس وقصورهم عن الإتيان بمثلها، وهي خاصة بالأنبياء، تقول عجز فلان عن قول أو فعل معين، إذا حاوله ولم يستطعه، أو لم يحاوله لاعتقاده عدم استطاعته له. [١٠] .

تنبيه هام جدًا:

سيأتي معنا بيان شرط التحدي في تعريف المعجزة، وأنه من كلام الأشاعرة ومن نحى نحوهم في تعريفها، وهذا الشرط خارج عن تعريف أهل السنة.

المطلب الثالث: بيان مفهوم الإعجاز والمعجزة اصطلاحًا

أ- المعجزة اصطلاحًا:

للعلماء تعريفات عديدة للمعجزة، منها المقتضب، ومنها ما هو أكثر منه، وما يعنينا هو تعريفها عند أهل هي السنة.

مفهوم المعجزة عند أهل هي السنة:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله–:

هي: " الدلائل والأعلام التي تدل على صدق النبي وأنه مرسل من عند الله تعالى، وصفتها التي تمتاز بها هي عجز الإنس والجن عنها لأنهما المخاطبان بالرسالة ".[١١]

ومن خلال التعريف نبين ما يلي:

الأولى في تسمية المعجزة:

١- يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) – رحمه الله–:

"وتسميتها آية وبرهانًا أولى من تسميتها معجزة أو أمرًا خارقًا، لأن التعبير عن حقائق الإيمان بعبارات القرآن أولى من غيرها، ولأن التعبير بالاصطلاحات الحادثة قد أوجب غلطًا كثيرًا وإيهامًا حيث يدخل فيها الحق والباطل ". [١٢]

---

[٩] فتح القدير، للشوكاني ٣/٤٦٠.

[١٠] يُنظر: لسان العرب لابن منظور ٦/٩٧ ، ٩٨ ، والقاموس المحيط ، للفيروز آبادي ٢/١٨٠، ٨١، ومختار الصحاح للرازي ص/ ٤١٣،٤١٤، ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ص/ ٧٣٨، ٧٣٩.

[١١] النبوات: (٢/٧٧٨،٨٦٤،٩٨٤). النبوات المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م عدد الأجزاء: ٢.

[١٢] المرجع السابق: (٢/٨٢٨،٨٦٧).

شبكة الألوكة www.alukah.net

والمعجزة: قد تسمى إضافة لما مضى ذكره "سلطانًا وبينة"، وأما تسميتها: بـ"آية" فهو المسمى الغالب استعماله في وحيي التنزيل-الكتاب والسنة-.

٢- الإحداث في تسمية المعجزة:

وأما تسمية "المعجزة" بهذا اللفظ عوضًا عن المسمى الصحيح الثابت في وحيي التنزيل فإنما الذي أحدثه هم مبتدعة أهل الكلام والجدل، وهو كما أخبر شيخ الإسلام بأنه تعريف حادث، وهو بخلاف ما عليه المتقدمون، والحقيقة نقول: إنه ليس كل ما شاع وانتشر استعماله فهو حق وصواب.

٣-الآيات من أجَلِّ مقاصدها تصديق وتأييد من أتى بها في دعواه

والتحدي ليس بمقصود في تلك الآيات، وإنما المقصود هو تأييد من ظهرت على يديه تلك الآيات تصديقًا له في دعواه وهو النبي أو الرسول.

٤- خاصية قصد التحدي بالقرآن

وأما القرآن الذي هو الآية العظمى الدالة على صدق نبوة النبي الخاتم-صلى الله عليه وسلم-، فهي آية قصد بها التحدي المقرون بالدلالة على صدق نبوته - صلى الله عليه وسلم -.

٥-دلائل إعجاز القرآن

وأما دلائل إعجاز القرآن فهي دالة كذلك على صدق نبوة من نزل عليه القرآن، وليست من الدلائل والآيات التي قُصِد بها التحدي، كآيات وسور القرآن، كما هو معلوم.

والمعجزة: " قد أطلقنا عليها اسم (الآية) كما جاء بذلك القرآن الكريم، وهو اسم شامل لكل ما أعطاه الله لأنبيائه للدلالة على صدقهم سواءً أقصد به التحدي أم لم يقصد".[١٣] ،وهذا التعريف موافق لتعريف أهل السنة والجماعة المغاير لتعريف الأشاعرة الذين يشترطون في المعجزة التحدي.

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية(ت: ٧٢٨هـ) - رحمه الله-:

" قاعدة شريفة في المعجزات والكرامات وإن كان اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة في اللغة، وعرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره ويسمونها: الآيات لكن كثير من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما، فيجعل المعجزة للنبي، والكرامة للولي، وجماعهما الأمر الخارق للعادة ".[١٤]

تسمية المعجزة:

---

[١٣] يُنظر: الرسل والرسالات، لعمر الأشقر: (١٢١). الرسل والرسالات المؤلف: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي الناشر: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت الطبعة: الرابعة، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م عدد الأجزاء: ١.

[١٤] مجموع الفتاوى/المجلد الحادي عشر/قاعدة شريفة في المعجزات والكرامات: (٥/٢). مجموع الفتاوى المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

شبكة الألوكة www.alukah.net

أما عند أهل هي السنة فهي:

الآية والدليل والبرهان والسلطان والبينة، وتسميتها آية أكثر استعمالًا في وحيي التنزيل.

وأما عند المعتزلة وأهل الكلام فهي: المعجزة

وأما الأشاعرة فقد انطلقوا من مصطلح " المعجزة " المفسر عنهم بخرق العادة، وزادوا قيودًا على هذا التفسير قصدوا بها تمييز المعجزة عن غيرها، وقد اختلفوا في ذلك اختلافًا واسعًا.

وفي محض الكلام عن أقوال متقدمي الأشاعرة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) – رحمه الله–:

" هي الفعل الخارق للعادة المقترن بدعوى النبوة والاستدلال به وتحدي النبي من دعاهم أن يأتي بمثله وشرط بعضهم أن يكون مما ينفرد الرب بالقدرة عليه، هذه الأربعة هي التي شرط القاضي أبو بكر(الباقلاني) ومن سلك مسلكه ".[١٥]

وقال د. فضل عباس: " المعجزة في الاصطلاح هي ما يدل على تصديق الله تعالى للمدعي في دعواه الرسالة، أو هي تأييد الله مدعي النبوة بما يؤيد دعواه ليصدقه المرسل إليهم" [١٦] .

وهذا التعريف في نظر الباحث القاصر من أسلم التعاريف، وهو موافق كذلك لتعريف أهل السنة والجماعة المغاير لتعريف الأشاعرة الذين يشترطون في المعجزة التحدي، غير إنه قد سمَّاها معجزة.

وقال الزرقاني(ت: ١٣٦٧هـ) – رحمه الله–:

"المعجزة: هي أمر يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله، أوهي أمرٌ خارق للعادة، خارج عن حدود الأسباب المعروفة، يخلقهُ الله تعالى على يد مدعى النبوة عند دعواه إياها شاهدًا على صدقه" [١٧] .

(قلت): غير أن معجزة القرآن ليست مخلوقة فالقرآن الكريم كلام الله ﷻ وصفته، ومن الأولى أن يُقال(يُظهره) بدلًا عن قوله: (يخلقهُ).

و**الزرقاني** قد أحسن في تعريفه هذا، وهو لم يذكر فيه التحدي صراحة، ولكن لوح به ولمح وأشار إليه، وذكر العجز عن الإتيان بمثله وكونه خارقًا للعادة، والمقصود الأول من المعجزة هو تصديق من أظهر الله المعجزة على يديه في دعواه.

وشرط كون الآية خارقة للعادة شرط لا نعلم دليلًا يدل عليه، أو أنه نقل عن أحد من السلف.

قال العلامة الفقيه شيخنا ابن عثيمين(ت: ١٤٢١هـ) – رحمهُ اللهُ–:

---

[١٥] النبوات: (١/٦٠٠).

[١٦] إعجاز القرآن الكريم ، ص/٢١.

[١٧] مناهل العرفان: ١/٧٢. مناهل العرفان في علوم القرآن المؤلف: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ) الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة: الطبعة الثالثة عدد الأجزاء: ٢.

شبكة الألوكة www.alukah.net

"المعجزة عند أهل العلم هي أمر خارق للعادة يظهره الله سبحانه وتعالى على يد الرسول تأييدًا له وقد سماها أكثر أهل العلم بالمعجزات، والأولى أن تسمى بالآيات التي هي العلامات على صدق الرسول وصحة ما جاء به كما سماها الله عز وجل بذلك، وهي أبين وأظهر من المعجزات أي من هذا اللفظ،

فالأَولَى أن تسمي معجزات الأنبياء بآيات الأنبياء، والآيات التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم آيات كثيرة حسية ومعنوية أرضية وأفقية أخلاقية وعملية فهي متنوعة وأعظمها وأبينها كتاب الله عز وجل كما قال الله تعالى:

﴿ وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (العنكبوي:٥٠-٥١).[١٨] .

وحول شرط كون الآية خارقة للعادة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) – رحمه الله–:

"وكون الآية خارقة للعادة أو غير خارقة هو وصف لم يصفه القرآن ولا الحديث ولا السلف وقد بينا في غير هذا الموضع أن هذا وصف لا ينضبط وهو عديم التأثير فإن نفس النبوة معتادة للأنبياء خارقة للعادة بالنسبة لغيرهم...."[١٩]

ولربما من قال به من أهل السنة كـ (شيخنا العثيمين) – رحمه الله–

يقصد معناه من "جهة اللغة "كما مر معنا قول شيخ الإسلام، والتعريف المعني والمقصود إنما هو التعريف الاصطلاحي كما لا يخفى.

ب– الإعجاز اصطلاحًا

الإعجاز هو: إعجاز الخصوم عن معارضة الأنبياء في معجزاتهم التي أظهرها الله على أيديهم.

قال الزرقاني (ت: ١٣٦٧) – رحمه الله–:

" إعجاز القرآن مركب إضافي، معناه بحسب أصل اللغة: إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به" [٢٠] .

وقال الحمصي– (ت: ؟) – رحمه الله–:

" إعجاز القرآن: فهو كونه أمرًا خارقًا للعادة لم يستطع أحدٌ معارضته برغم تصدي الناس لها" [٢١] .

وقال مناع القطان(ت: ١٤٢٠هـ) – رحمه الله–:

" والمراد بالإعجاز هنا: إظهار صدق النبي – ﷺ – في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة وهي القرآن وعجز الأجيال بعدهم" [٢٢] .

---

[١٨] سلسلة لقاء الباب المفتوح– المسجلة– شريط ٠٨٤ – الوجه الثاني.

[١٩] النبوات (١/١٦٣).

[٢٠] مناهل العرفان ٢/٣٣١.

[٢١] فكرة إعجاز القرآن، لنعيم الحمصي: (ص: ٩).

[٢٢] مباحث في علوم القرآن، ص/٢٦٥. مباحث في علوم القرآن المؤلف: مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م عدد الأجزاء: ١.

شبكة الألوكة www.alukah.net

(قلت): وإعجاز القرآن: كونه خارقًا للعادة والمألوف، أظهره الله على يد نبيه ﷺ، أعجز الإنس والجن عن أن يأتوا ولو بمثل سورة قصيرة من سوره، وقد تصدى البعض لذلك كمسيلمة الكذاب ففشلوا فشلاً ذريعًا.

وقد مضى معنا كلام شيخ الإسلام حول شرط كون الآية خارقة للعادة، فلا حاجة لإعادته وتكراره.[٢٣]

المبحث الثاني: مفهوم الغيب

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الغيب لغةً:

ما نقيض الغيب؟

إنَّ معنى لفظة الغيب في اللغة العربية هو ما غاب عن الحواس وحُجب عنها، وبذلك يكون النقيض من الغيب هو لفظ الشهادة. [٢٤]

والغيب لغة:

مصدر الفعل غَابَ، والجمع منه غيوب وغياب، ويضاده الحاضر، والمشاهد، فيُطلق الغيب على كلّ أمرٍ غُيّب عن الإنسان، سواءً تحقّق في القلب أم لا، فيقال: الأمر في عالم الغيب؛ أي أنّ رؤيته غير ممكنةٍ، وقد تحقّق الجهل به. [٢٥]

المطلب الثاني: مفهوم الغيب اصطلاحًا:

هل من سبيل لمعرفة الغيب؟

إنَّ المعنى الاصطلاحي للغيب هو الأمور التي تغيب عن حواس الإنسان، أو هو ما غاب عن علمه وبصيرته، سواء كان ما عجز عن إدراكه عجزًا كليًا، أم ما أخبر الله -تعالى- أو رسوله الكريم -صلى الله عليه وسلم- عنه، أو هو ما غاب عن الإنسان بالوضع الراهن ويستطيع الوصول إلى بعض منه مستقبَلا من خلال التحليل الفكري ونحوه. [٢٦]

ولقد - ورد لفظ الغيب في القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد دلّ وروده في القرآن على كلّ ما غاب عن الحواسّ؛ فالغيب كلّ أمرٍ لا يعلمه إلّا الله، وتمّ ذكره في ستةٍ وخمسين موضعاً للدلالة على عدّة معانٍ، وذُكر في السنة النبوية مقروناً بالعلم؛ للدلالة على عدم التناقض بينهما، وللإشارة إلى أنّ الإيمان بالغيب لا بدّ أن يكون متحقّقاً بالقلب، وصولاً به إلى درجة العلم. [٢٧]

---

[٢٣] يُنظر: عَرَفَةُ بْنُ طَنْطَاوِيّ، الذَّهَبُ الإِبْرِيزُ فِي خَصَائِصِ الكِتَابِ العَزِيزِ: (ص: ١٠٠- وما بعدها).

[٢٤] عبد القادر عطا صوفي، المفيد في مهمات التوحيد: (ص: ٣٠). بتصرّف.

[٢٥] تعريف ومعنى الغيب في معجم المعاني الجامع - معجم عربي. بتصرّف.

[٢٦] وزارة الأوقاف السعودية، العقيدة: (ص: ٢٦). بتصرّف.

[٢٧] الإيمان بالغيب، لبسام العموش: (ص:٩-١٢) (الطبعة الأولى) (٢٠١٠م)، العبدلي: دار المأمون. بتصرّف.

شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثالث: مفهوم الإعجاز الغيبي

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الإعجاز الغيبي في الاصطلاح:

الإعجاز الغيبي هو إخبار ما غاب عن النبي محمد – ﷺ – وقومه مما لم يشهدوه من حوادث وقعت، أو لم يحضروا وقتها، فلم يكونوا على علم بتفاصيلها، وهو يشمل غيب الماضي وغيب الحاضر وغيب المستقبل.[٢٨]

المطلب الثاني: مفهوم الإعجاز الغيبي في القرآن

إِخْبَارُ القُرْآنِ الكَرِيمِ عَنْ أُمُورٍ لاَ تُعْلَمُ إِلَّا بِالوَحْيِ سَواءً وَقَعَتْ فِي الماضِي أَوْ الحَاضِرِ أَوْ سَتَقَعُ فِي المسْتَقْبَلِ.

والمعنى:

الإِعْجَازُ الغَيْبِيُّ نَوْعٌ مِنْ أَنْواعِ الإِعْجَازِ فِي القُرْآنِ، وَيَشْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ غَابَ عَنْ نبيّنا مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَلَمْ يَشْهَدْهُ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَتِه، إِلَّا عَنْ طَرِيقِ الوَحْيِ الذِي يَتَنَزَّلُ عَلَيْهِ مِنَ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى، سَوَاءً كَانَ الإِخْبَارُ عَمَّا كَانَ فِي الماضِي أَوْ الحَاضِرِ أَوْ سَيَكونُ المسْتَقْبَلِ، وَذَلِكَ كَالإِخْبَارِ عَنْ بِدَايَةِ نَشْأَةِ الكَوْنِ وَمَا وَقَعَ مُنْذُ خَلْقِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَكَإِخْبَارِ القُرْآنِ الكَرِيمِ بِأن الرُّوم سينتصرون عَلَى الفُرْسِ بَعْدَ هَزِيمَتِهِمْ.[٢٩]

المطلب الثالث: مفهوم الغيب المطلق في الاصطلاح

ماذا يتضمن الغيب المطلق من الأمور؟

والغيب المطلق يتضمن: الأمور الغيبيَّة التي استأثر الله –سبحانه وتعالى– بعلمها دون جميع خلقه وحجبها عن جميع الخلق، ولا يستطيع أن يصل إليها إنسانٌ بأيّ حاسةٍ من الحواس، [٣٠] وقد ورد علم الغيب هذا في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾(النمل: ٦٥)

المطلب الرابع: من مشاهد الغيب المطلق في القرآن

لقد أحاطَ اللهُ تعالَى بكلِّ شيءٍ علمًا، وأحصى كل شيءٍ عددًا، فأحاطَ عِلمُه بجميع مخلوقاته وموجوداته ومصنوعاته، وكان من حكمته البالغة أن أطلع بعض خلقه على بعض الْمُغَيَّبات، وأخفى بعضها عن جميع مخلوقاته من العالم العلوي والعالم السفلي،

ومن المغيبات التي استَأثَرَ بها – سبحانه – وحده، وحَجَبَ عِلمَها عن جَميعِ المخلوقاتِ، ما يسمى بالغيب المطلق.

---

[٢٨] الإعجاز الغيبي والتشريعي: المرجع الالكتروني للمعلوماتية، مؤرشف من الأصل في ١٢ /فبراير/ ٢٠٢١م. اطلع عليه بتاريخ: ٥/ مارس/ ٢٠٢١ م.

[٢٩] مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه: (ص: ١٥٧)، مباحث في إعجاز القرآن: (ص: ٢٥٩)، مباحث في إعجاز القرآن: (ص: ٢٥٩)، شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي: (ص: ٢٨٠). ويُنظر: الإعجاز الغيبي، موسوعة المصطلحات الإسلامية.

[٣٠] – محمد السيد الجليند، الوحي والإنسان قراءة معرفية: (ص: ٨٢). بتصرّف.

شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن مشاهد الغيب المطلق التي استأثر الله – تعالى– بعلمه ولم يطلع عليه أحدًا من خلقه، لا ملكًا مقربًا، ولا نبيًا مرسلًا– الغيبيات الخمس– التي ورد ذكرها في خواتيم سورة لقمان، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(لقمان: ٣٤)

عن عبدالله بن عمر (ت: ٧٣هـ) **– رضي الله عنهما– قال: قال – صلى الله عليه وسلم –:**

"مِفْتَاحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: لا يَعْلَمُ أَحَدٌ ما يَكونُ في غَدٍ، ولَا يَعْلَمُ أَحَدٌ ما يَكونُ في الأَرْحَامِ، ولَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا، وما تَدْرِي نَفْسٌ بأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وما يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يَجِيءُ المطَرُ".[٣١] .

وعائشة أم المؤمنين(ت: ٥٨هـ) **– رضي الله عنها– قالت:** (...ومَن زَعَمَ أنَّه يُخْبِرُ بما يَكونُ في غَدٍ، فقَدْ أعْظَمَ علَى اللهِ الفِرْيَةَ، واللَّهُ يقولُ: ﴿ قُلْ لا يَعْلَمُ مَن في السَّماواتِ والْأَرْضِ الغَيْبَ إلَّا اللَّهُ ﴾ (النمل: ٦٥).[٣٢]

المبحث الرابع: أصول الْمُغَيَّبات في القرآن

وفيه ثلاثة مطالب:

أما عن أُصول المغيبات في القرآن فإنها ترجع إلى ثلاثة أمور، وهي على ما يلي بيانه في المطالب التالية:

المطلب الاول: الإخبار عن رب العزة تبارك وتعالى

الأمر الأول: الإخبار عن رب العزة تبارك وتعالى، وعن أسمائه الحسنى وصفاته العلى، والإخبار عن عالم الملائكة وعالم الجن وعالم البرزخ،

والإخبار عن أمر المعاد وما يكون فيه من بعث وحشر ونشر وحساب وثواب وعقاب، ومجازاة أهل الإيمان والإحسان بالإحسان، ومجازاة أهل الكفر والطغيان بالعذاب والجحيم والنكال، وقد ورد ذكر تلك الغيبيات بكثرة في القرآن ولاسيما في المكي منه، وتلك الغيبيات لا تعرف بالحسّ ولا تدرك بالعقل.

---

[٣١] رواه البخاري: (١٠٣٩).

[٣٢] رواه مسلم: (١٧٧).

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الثاني: الإخبار عن الأُمم السابقة وأحوالها

الأمر الثاني: الإخبار عن الأُمم السابقة وأحوالها، وعن أخبار أتباع الرسل، مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، وعن صراع الرسل عليهم السلام مع أممهم، وبيان أحوال ومصير المعاندين منهم الذين جحدوا دين ربهم وكذبوا رسله الكرام عليهم السلام، وتلك الأمم قد خلت وهلكت عن بكرة أبيها وأصبحت نسيًا منسيًا، فلا ترى لها أثرًا ولا تُحِس لها خبرًا، فمساكنهم أبيدت، ومعالم مواطنهم محيت، فذكر الله تلك الغيبيات، كما ذكر من أخبارهم وقَص علينا من قصصهم في محكم كتابه الكريم، ولا يمكن لأي عقل أن يدرك تلك الغيبيات إلا بالوحي المعجز المنزل من عند الله تبارك وتعالى.

المطلب الثالث: الإخبار عن بعض آيات الكونية وما يجري فيها من قضاء الله وقدره

الأمر الثالث: الإخبار عن بعض آيات الكونية وما يجري فيها من قضاء الله وقدره، وعن أخبار الساعة، وما سيحدث في الكون من مقدمات بين يد الساعة، كعلاماتها الكبرى التي ورد ذكر بعض منها في القرآن، وورد ذكر بعض منها في السنة.

وقد ثبت في كتاب الله تعالى أن للقيامة علامات وأمارات تتقدمها وتكون بين يديها، كما ثبت ذلك في السنة الصحيحة الثابتة عن المعصوم – صلى الله عليه وسلم – والتي استفاضت بأحاديث كثيرة والتي من أجمعها وأبرزها حديث حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ [٣٣] ، قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: "مَا تَذَاكَرُونَ؟" قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: " إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ – فَذَكَرَ – الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ".[٣٤]

والباحث لا يعلم نصوصًا صحيحة وصريحة في ترتيب تلك العلامات، وإنما يستفاد ترتيب بعضها من جملة ما ورد من نصوص.

وقد سئل شيخنا العلامة الفقيه ابن عثيمين(ت: ١٤٢١هـ) – رحمه الله – : هل أشراط الساعة الكبرى تأتي بالترتيب؟ فأجاب:

"أشراط الساعة الكبرى بعضها مرتب ومعلوم، وبعضها غير مرتب ولا يعلم ترتيبه، فمما جاء مرتبًا نزول عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، والدجال فإن الدجال يبعث ثم ينزل عيسى بن مريم فيقتله ثم يخرج يأجوج ومأجوج.

---

[٣٣] حذيفة بن أسيد الغفاري: صحابي شهد الحديبية، وقيل: إنه بايع تحت الشجرة، وشهد فتح دمشق. له أربعة أحاديث انفرد مسلم بحديثين، وعنه أبو الطفيل والشعبي، ترجمه ابن حجر في الإصابة (١: ٣١٧)، وله ترجمة في الثقات (٣: ٨١).

[٣٤] صحيح مسلم، أشراط الساعة(٢٩٠١)، سنن الترمذي – الفتن (٢١٨٣)،سنن أبي داود – الملاحم (٤٣١١)، مسند أحمد – أول مسند المدنيين رضي الله عنهم أجمعين (٦/٤).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد رتب السفاريني رحمه الله في عقيدته هذه الأشراط، لكن بعض هذا الترتيب تطمئن إليه النفس، وبعضها ليس كذلك، والترتيب لا يهمنا، وإنما يهمنا أن للساعة علامات عظيمة إذا وقعت فإن الساعة تكون قد قربت، وقد جعل الله للساعة أشراطًا؛ لأنها حدث هام يحتاج الناس إلى تنبيههم لقرب حدوثه ". [٣٥]

والإخبار عن المغيبات، أو الإعجاز الغيبي، هو أحد وجوه الإعجاز القرآني، وهو من أبرزها وأشهرها وأهمها، والإخبار عن المغيبات من الأمور التي يستحيل للعقول إدراكها أو التنبؤ بها، أو الاطلاع على شيء منها، أو التخمين فيها بما يسمى

بالحسابات المادية، أو بإعمال الفكر أو العقل فيها، لأن هذه الأمور لا يمكن إدراكها بالعقل، ولا يمكن أبدًا إدراكها إلا بالوحي، وبالوحي وحده.

وقد عدّ علماء الإعجاز الغيبي في كتاب الله تعالى هو أحد وأهم وجوه الإعجاز، فأطالوا البحث والتنقيب عنه وإبرازه وبيانه وشرحه وإيضاحه، وممن أطال البحث فيه من المتقدمين وأجاد وأفاد:

١- الخطابي: وهو: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي الشافعي المعروف بالخطابي: (ت: ٣٣٨هـ) في كتابه: بيان إعجاز القرآن.

٢- الرماني: وهو: علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (ت: ٣٨٤هـ) في كتابه: النكت في إعجاز القرآن.

٣- الباقلاني: وهو أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني: (ت: ٤٠٣هـ) في كتابه إعجاز القرآن.[٣٦]

ومفاتيح الغيب التي ذكرناها آنفًا هي مما استأثر الله - تعالى - بعلمها بها، وهي غيض من فيض من علمه تعالى، وأمور الغيب المطلقة التي استأثر الله بعلمها غير محصورة في الغيبيات الخمسة سالفة الذكر، وهناك أمور كثيرة غيرها استأثر الله بعلمها، منها البعث والحشر والنشر متى يكون: كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ (النحل: ٢١). فلا أحد من خلق الله له علم بذلك أبدًا.

وبهذا ينتهي الفصل الأول والحمد لله رب العالمين.

---

[٣٥] مجموع فتاوى ابن عثيمين: (٢/ ١٣٧). مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان الناشر: دار الوطن - دار الثريا الطبعة: الأخيرة - ١٤١٣ هـ عدد الأجزاء: ٢٦.

[٣٦] يُنظر: عَرَفةُ بْنُ طَنْطَاوِيّ، الذَّهَبُ الإِبْرِيزُ فِي خَصَائِصِ الكِتَابِ العَزِيزِ: (ص: ١٤٨).

شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الثاني

الْمُغَيَّبات التي تَتعلَّق بالماضي

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أقسام الْمُغَيَّبات في القرآن إجمالًا

وهذه الْمُغَيَّبات تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى التي أثبت الله بها نبوة ورسالة خاتم النبين والمرسلين – صلَّى الله عليه وسلَّم–، والتي أَعْجَزَ الخَلْقَ أجمعين أن يأتوا بمثله، وقد تَحَدَّاهم الله أن يأتوا بمثله فعجَزُوا.

قال سبحانه: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء: ٨٨)

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤) **– رحمه الله –:**

" محمد – صلى الله عليه وسلم – بعثه الله في زمن الفصحاء والبلغاء ونحارير الشعراء، فأتاهم بكتاب من الله، عز وجل، لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبدًا، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، وما ذاك إلا لأن كلام الرب لا يشبهه كلام الخلق أبدًا.[٣٧]

قال البغوي (ت: ٥١٠هـ) **– رحمه الله –:**

" قَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾لَا يَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ﴿ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾عَوْنًا وَمُظَاهِرًا.

نَزَلَتْ حِينَ قَالَ الْكُفَّارُ: لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا فَكَذَّبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، فَالْقُرْآنُ مُعْجِزٌ فِي النَّظْمِ وَالتَّأْلِيفِ وَالْإِخْبَارِ عَنِ الْغُيُوبِ وَهُوَ كَلَامٌ فِي أَعْلَى طَبَقَاتِ الْبَلَاغَةِ لَا يُشْبِهُ كَلَامَ الْخَلْقِ لِأَنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَلَوْ كَانَ مَخْلُوقًا لَأَتَوْا بِمِثْلِهِ".[٣٨]

وليس الكلام هنا عن الخلاف الواقع في كون الإخبار عن الْمُغَيَّبات ت قصد به التحدي أم لم يقصد، لكن ما نحن بصدده هنا هو أن الإخبار عن تلك الْمُغَيَّبات هو من وجوه إعجاز القرآن بلا خلاف.

وإنَّ مِن أبرز وجوه الإعجاز في القرآن إعجازُه في الإخبار عن الأمور الغيبية، وتلك الأمور الغيبية منها ما هو متعلق بالماضي، ومنها ما هو متعلق بالوقت والزمن الحاضر الْمُعاصِر لنزول القرآن(وهو عهد النبوة)، ومنها ما هو متعلق

---

[٣٧] تفسير ابن كثير: (٢/ ٤٥). تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ.

[٣٨] تفسير البغوي: (١٢٧/٥). معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م عدد الأجزاء: ٨.

شبكة الألوكة www.alukah.net

بالمستقبل.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الْمُغَيَّبات التي تَتَعلَّق بالماضي السَّحِيق

مِن وجوه إعجاز القرآن إعجازُه في الإخبار بالْمُغَيَّبات، وهذه الْمُغَيَّبات تَتَعلَّق بالماضي السَّحِيق الْمُوغِل في القِدَم هي ممَّا لم يشهَدْه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، الذي خاطَبَه ربُّه سبحانه فقال: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٤٤).، وذلك تعقيبًا على قصة امرأة عمران، وتمهيدًا للحديث عن مريم عليها السلام.

والمعنى:

﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾

أي: هذه الأخبارُ الَّتي تَقدَّم ذِكرُها عن امرأةِ عِمْران وابنتِها مريم وزكريَّا وابنه يحيى عليهما السَّلام من أخبارِ القوم الخفيَّة، الَّتي غابتْ عنكَ وعن قومِك فلم تَطَّلعوا عليها، نقصُّها عليك ونخبرُك بها؛ دليلًا على نُبوَّتِك، وتحقيقًا لصِدْقِك.[٣٩]

﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٤٤).

﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾

أي: وما كنتُ- يا محمَّدُ- عند زكريَّا وقومِه حين اقترَعوا في شأنِ مريمَ بإلقاء أقلامِهم؛ ليَنظروا أيُّهم يَكفُلُها ويَضمُّها إليه.[٤٠]

﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾

---

[٣٩] – ينظر: تفسير الطبري: (٥/٤٠٠)، جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م عدد الأجزاء: ٢٤.، التفسير الوسيط، للواحدي: (١/٤٣٦)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م عدد الأجزاء: ٤.، تفسير ابن كثير:(٢/٤٢)، تفسير ابن عثيمين، تفسير: (سورة آل عمران): (١/٢٦١).

تفسير: (سورة آل عمران): تفسير ابن عثيمين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م عدد الأجزاء: ٢.

[٤٠] ينظر: تفسير الطبري: (٥/٤٠٣)، تفسير ابن كثير:(٢/٤٢)، تفسير ابن عثيمين، تفسير: (سورة آل عمران): (١/٢٦١).

شبكة الألوكة www.alukah.net

أي: وما كُنتَ عندَهم حالَ اختصامِهم أيُّهم أحقُّ بها، فلولا أنَّ الله أَوحى إليك ذلك لَمَا كان لك علمٌ به.[٤١]

ومن الْمُغَيَّبات التي ورد الإخبار عنها في القرآن مما تَتَعلَّق بالماضي السَّحِيق، الإخبار عن نبأ الأنبياء وصراعهم مع أقوامهم، وكذلك الإخبار عن الكثير من قصص الأولين وأخبار السابقين، كالإخبار عن نبأ قوم عاد وثمود وما أصابهما من بلاء وعذاب، وكالإخبار عن العزير، وكالإخبار عن أبرهة الأشرم وحادثة الفيل

المطلب الثاني: الْمُغَيَّبات التي تَتعلَّق بالزمن الحاضر الواقع في زمنِ نزول القرآن

النبي – صلى الله عليه وسلم – بشر لا يعلم الغيب، شأنه في ذلك شأن عموم البشر، وما ورد في القرآن من أنواع الْمُغَيَّبات إنما هو وحي أوحاه الله إليه تأييدًا له في دعواه وإثباتًا لنبوته ورسالته. والنبي – صلى الله عليه وسلم – ذاته لا اطلاع له على أي غيب إلا ما أطلعه الله عليه، كما قال تعالى: ﴿ قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ (الأنعام: ٥٠)

والمعنى:

معنى قوله: ﴿ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾

أي: ولا أقولُ لكم: إنِّي أعلمُ غُيوبَ الأشياءِ الخَفِيَّةِ التي لا يَعْلَمُها إلَّا اللهُ وحده، الذي لا يَخفَى عليه شيءٌ. [٤٢]

وقد يقولُ قائلٌ:

أليس النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يُحدِّثُ عن أشياءَ مُستقبَلةٍ، فكيفَ قيلَ: ﴿ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾؟

فالجوابُ:

بلى، ولكِنْ بِوَحْيٍ من الله عزَّ وجلَّ، والله تبارك وتعالى يَعْلَمُ الغَيْبَ؛ ولِهذا نقولُ: كُلُّ ما أخبَرَ به النبيُّ صلَّى الله عليه وعلى آلِه وسلَّم مِنْ أمورِ المستَقبلِ؛ فهو بِوَحْيٍ خاصٍّ من الله عزَّ وجلَّ، وحينئذٍ لا يُنافي ما أَخْبَر به من أمورِ الغَيبِ ما ذكره اللهُ تعالى في هذه الآيَةِ: ﴿ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾؛ لأنَّ عِلْمَه بالمستقبَلِ بما أَوْحَى اللهُ إليه، ليس عِلْمًا ذاتيًّا أدْرَكَه بنفْسِه، لكنَّه عِلْمٌ مِنْ عِند الله، كما أنَّ الإنسانَ يرى الرُّؤْيا الصَّالحةَ في المنامِ، وينتفعُ بها في المستقبَل، و(الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جزءٌ من سِتَّةٍ وأربعينَ جُزءًا من النبوَّة).[٤٣] .

فقال: ﴿ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾

---

[٤١] ينظر: تفسير الطبري: (٥/٤٠٠)، أضواء البيان، للشنقيطي (٤/٩٤)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان عام النشر: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.، تفسير ابن عثيمين، تفسير: (سورة آل عمران): (١/٢٦٣).

[٤٢] يُنظر: تفسير الطبري: (٩/٢٥٥)، تفسير ابن كثير: (٣/٢٥٨)، تفسير ابن سعدي: (ص: ٢٥٧)، تفسير ابن سعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م عدد الأجزاء: ١.، تفسير ابن عثيمين– سورة الأنعام–: (ص: ٢٤٧).

[٤٣] يُنظر: تفسير ابن عثيمين– سورة الأنعام–: (ص: ٢٥١). والحديث أخرجه البخاري: (٦٩٨٩) من حديث أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه –. وأخرجه مسلم: (٨) من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه –.

شبكة الألوكة www.alukah.net

تنصيصًا على مَحْضِ العبوديَّةِ والافتقارِ، وأنَّ ما صَدَر عنه من إخبارٍ بِغَيبٍ إنَّما هو من الوَحْيِ الوارِدِ عليه لا من ذاتِ نَفْسِه، فقال: (إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوْحَى إِلَيَّ) كما قالَ فيما ذكر اللهُ عنه: ﴿ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾ (الأعراف: ١٨٨).

قولُه تعالى: ﴿ قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ فيه أمْرُ اللهِ تعالى رسولَه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنْ يُعلِنَ للنَّاس أنَّه لا يعلمُ الغيبِ؛ ولذا لَمَّا رُميتَ عائشةُ – رضي الله عنها – بالإفكِ، لم يعلمْ أهي بريئةٌ أم لا حتَّى أخبره اللهُ تعالى بقولِه: ﴿ أُولَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾ (النور: ٢٦).[٤٤]

ومن الْمُغَيَّبات التي ورد الإخبار عنها في القرآن عن أمور مُتَعَلِّقة بغُيُوبٍ لِمَن هم في عصْر الرسالة في زمن النبي – ﷺ –، الإخبار عن مكائد ومؤامرات الكافرين والمنافقين، قبل تنفيذهم لها وشروعهم فيهم، ومن ذلك – أيضًا – الإخبار عن نصرة الله لرسوله– ﷺ – وللمؤمنين والتمكين لهم في الأرض وتحقق ذلك.

المطلب الثالث: الْمُغَيَّبات التي تَتَعلَّق بغُيُوبٍ مستقبلِيَّة

إن أخبار الغيوب التي أخبر عنها القرآن الكريم سواء ما كان منها في الماضي السحيق، أو الحاضر الذي جرى في عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، أم ما أخبر عن وقوعه في مستقبل الأيام، ما كان لبشر عاقل أن يربط مصير دعوته بهذه الأمور الغائبة لو لم يكن على ثقة مطلقة من الركن القوي الذي يستند إليه في إطلاق هذه الأخبار، إن أنباء الغيب التي طابقت ما كان عند أهل الكتاب من الأخبار الماضية، وما اعترف بها أصحابها في عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وما كان في مستقبل الأيام لدليل ظاهر على أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – يتلقى القرآن من لدن حكيم خبير.[٤٥] ولذا قيل: المعجزة قرينة الرسالة.

ومن الْمُغَيَّبات التي أخبر الله عنها في القرآن الكريم ولم تقع بعد، الْمُغَيَّبات التي تَتَعلَّق بغُيُوبٍ مستقبلِيَّة.

و – لم تكن تلك – الْمُغَيَّبات – وقعَت في عهده صلَّى الله عليه وسلَّم، وممَّا يكُون وقوعه في يوم القيامة ".[٤٦]

والله سبحانه قد جعل للحق علامات وآيات باهرات متعددات ومتنوعات تدل على الحق الذي أرسل به رسله الكرام عليهم السلام، وهذه العلامات وتلك الآيات تدل على صدق المرسَل الذي هو "الرسول" وصدق المرسَل به وهو "الرسالة" لتقوم به الحجة على كل معاند وجاحد ومنكر لها، ويطمئن بها قلب كل مؤمن ومصدق ومتبع لها.

ومن تلك الآيات الباهرات التي جعلها الله تعالى علامة على أن القرآن وحيه الذي أوحاه إلى رسوله – صلى الله عليه وسلم –، وأنه لا يمكن أن يكون لبشر قدرة على أن يقول بمثلها أبدًا، الأخبار المستقبلية التي ذكرها الله في كتابه، وقد قعت كما أخبر بها سبحانه وتعالى.

يقول الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ) – رحمه الله – في الإعجاز الغيبي:

---

[٤٤] يُنظر: أضواء البيان، للشنقيطي: (١/٤٨١، ٤٨٢).

[٤٥] مناهل العرفان، للزرقاني: (٢/٢٦٩).

[٤٦] يُنظر: إعجاز القرآن– أ. طاهر العتباني–عن موقع الألوكة– بتاريخ: ٢/٥/١٤٣١هـ. بتصرف.

شبكة الألوكة www.alukah.net

"وذلك مما لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم إليه، فمن ذلك ما وعد الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام أنه سيُظهر دينه على الأديان بقوله عز وجل: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة:٣٣)، ففعل ذلك".[٤٧]

وما من نبي مرسل إلا وقد أعطاه الله من المعجزات التي تؤيد دعواه للنبوة والرسالة، وفي نحو ذلك يقول النبي – صلى الله عليه وسلم – :

"ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة".[٤٨]

ومما أعطاه الله لخاتم النبيين والمرسلين– صلى الله عليه وسلم – من المعجزات التي تؤيد دعواه، ما ورد ذكره في القرآن من الْمُغَيَّبات التي تَتَعلَّق بغُيُوبٍ مستقبلِيَّة، كانتصار الروم على الفرس، ووقوع غزوة بدر وانتصار المسلمين فيها، والإخبار عن موت أبي لهب وامرأته على الكفر وتحقق ذلك، وتوعد رب العزة تبارك وتعالى الوليد بن المغيرة بالعذاب الأليم والإخبار عن سوء خاتمته وموت على الكفر وتحقق ذلك، وتحقق الفتح المبين وما ترتب عليه من توابع.

وسيأتي الكلام عن أقسام تلك الْمُغَيَّبات – جميعًا – بشيء من التفصيل في المباحث التالية بإذن الله تعالى.

المبحث الثاني: الْمُغَيَّبات التي تَتَعلَّق بالماضي تفصيلًا

وفيه خمسة مطالب:

وفي هذا المبحث يتناول الباحث ذكر بعض ما ورد في القرآن عن الإخبار عن المغيَّبات الثلاث بشيء من التفصيل.

الإعجاز الغيبي الأول: الإخبار عن الأمور الغيبية التي تتعلق بغُيُوبٍ في الماضي.

تضمُن القرآن بعض الغُيُوب في الماضي:

لا شك: " أن القرآن معجز بتضمنه بعض أنباء الغيب الماضي[٤٩] ، حيث أتى بمجمل ما وقع وحدث من عظيمات الأمور، ومهمات السير، من حين خلق الله آدم عليه السلام إلى حين مبعثه، والنبي – صلى الله عليه وسلم – كان

---

[٤٧] إعجاز القرآن للباقلاني: (ص: ٣٣). إعجاز القرآن للباقلاني المؤلف: أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: ٤٠٣هـ) المحقق: السيد أحمد صقر الناشر: دار المعارف – مصر الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م عدد الأجزاء: ١.

[٤٨] أخرجه البخاري ومسلم، وهذا لفظ البخاري رقم: (٤٦٩٦)، باب كيف نزل الوحي (٤/١٩٠٥).

[٤٩] ما غاب عنك في الماضي يعتبر غيبًا بدليل قوله تعالى عقب قصة يوسف عليه السلام: [ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ...] {يوسف:١٠٢}

شبكة الألوكة www.alukah.net

أميًا لا يقرأ ولا يكتب ولم يتتلمذ على يد أحد، ولم يكن يعرف عن ذلك شيئًا قبل نبوته، قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (العنكبوت:٤٨)"[٥٠] .

ولقد قص الله على نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – من أخبار من سبقه من المرسلين قصصًا لم يكن يعرفها من قبل، فقال الله تعالى مخاطبًا له صلى الله عليه وسلم في الإخبار عن نبأ نوح عليه السلام: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ (هود: ٤٩).

وقال له في نبأ الإخبار عن موسى عليه السلام: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ... وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ ﴾ (هود: ٤٤-٤٦)

وقال له في نبأ الإخبار عن كفالة مريم عليها السلام ورعايتها: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (آل عمران:٤٤)

وقال له في نبأ الإخبار عن أنباء الرسل عليهم السلام: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ (هود: من آية:١٢٠).

ونسوق أمثلة عن بعض ما ورد في القرآن من المغيبات الماضية التي أخبر الله تعالى وأنبأ عنها.

المطلب الأول: ذكر نبأ أبينا آدم أبي البشر عليه السلام

ومن أهم ما ورد ذكره عن نبأ أبينا آدم أبي البشر عليه السلام، ما قصه الله من خبر خلقه ونشأته، وخبره مع الملائكة، وخبره مع إبليس، وخبر معصيته وخروجه من الجنّة بسببها ثم هبوطه إلى الأرض، ويأتي بيانه فيما يلي:

١ – مبدأ قصّة خلق آدم عليه السلام

وإنما كان مبدأ ذلك عندما أخبر الله تعالى ملائكة الكرام عليهم السّلام، بأنّه سيخلق في الأرض بشرًا يخلف بعضُهم بعضًا، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:٣٠)

٢–تقدير خلق آدم من طين وأمره سبحانه الملائكة بالسجود له، ثم بيان عصيان وتمرد إِبْلِيس

وقد أخبر سبحانه وتعالى ملائكته أنه قضى وقدر خلق آدم من طين؛ كما قال تعالى:

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٦) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) ﴾ (ص: ٧١-٧٧).

ولقد سجد الملائكة كلّهم أجمعون لآدم كما أمرهم ربُّهم، إلا إبليس أبى واستكبر، فقال له الله تعالى: ﴿ قَالَ يَا

---

[٥٠] يُنظر: إعجاز القرآن، للباقلاني، ص / ٦٤ ، ٦٥.

شبكة الألوكة www.alukah.net

إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾، فكان ردّ إبليس بكلّ كبرياء وحسدٍ: ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾، فحلّت عليه لعنة الله تعالى، وطُرِدَ من رحمته إلى الأبد، كما قال ربنا: ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾، ثمّ جاء طلبه بالإنظار بعد ذلك كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (ص: ٧٩-٨٣).

٣- إسكان آدم عليه السلام وزوجه الجنة، وأكلهما من الشجرة، وهبوطهما إلى الأرض

قال تعالى: ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ (الأعراف: ١٩ – ٢٥).

٤- كما أخبر عن قصّة ونَبَأ ابني آدم

كما في قوله تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة:٢٧)

المطلب الثاني: ذكر نبأ نوح عليه السلام:

ومن أهم ما ورد ذكره عن نبأ نوح عليه السلام، ما يلي:

١- الإخبار نوح عليه السلام وعن دعوته

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (العنكبوت: ١٤)، وتأمل أيضًا سورة نوح بأكملها

٢- الإخبار عن طوفان نوح عليه السلام

وفي ذلك يقول ربنا: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ (٧١) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢) فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (٧٣) ﴾ (يونس: ٧١-٧٣)، ثم تأمل ما ورد من خبره مع قومه وولده في سورة هود كذلك.

المطلب الثالث: ذكر نبأ أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام

شبكة الألوكة www.alukah.net

الإخبار عن أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، ومن أهم ذلك ما يلي:

١- الإخبار عن إعلامِ اللهِ لإبراهيم عليه السلام مكان البيت

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (الحج: ٢٦).

٢- الإخبار عن بناء إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام للبيت العتيق

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (البقرة: ١٢٧)، ثم تأمل فيما تلاها من آيات.

٣- الإخبار عن نبأ ابتلاءِ اللهِ لإبراهيم عليه السلام

قال تعالى: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (البقر': ١٢٤)، ثم تأمل فيما تلاها من آيات كذلك.

٤- الإخبار عن محاجة إبراهيم عليه السلام للنمرود بن كنعان

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥٨).

٥- الإخبار عن طلب إبراهيم عليه السلام اليقين من ربه

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٦٠) ﴾ (البقرة: ٢٦٠)

٦- الإخبار عن ضَيْفِ إبراهيم عليه السلام من الملائكة وبشراهم له بغلام عليم، وبعذاب قوم لوط

قال تعالى: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٥٣) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (٥٤) قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ (٥٥) قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٥٦) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٥٧) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٥٨) إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (٦٠) ﴾ (الحجر: ٥١-٦٠).

وتأمل كذلك إن شئت خبر ابتلاء إِبْرَاهِيمَ عليه السلام في إسكان ذريته بواد غير ذي زرع عن البيت المحرم، وابتلائه كذلك في ذبح ولده وفلذة كبده، ثم ابتلائه بإلقائه حيًا في النار، وغير ذلك مما أكثر الله ذكره من الغيبيات في حقه عليه السلام.

شبكة الألوكة www.alukah.net

والحديث عن إِبْرَاهِيمَ عليه السلام في القرآن يطول جدًا، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.[٥١]

المطلب الرابع: ذكر نبأ موسى عليه السلام

الإخبار عن موسى عليه السلام في القرآن فهو أكثر من أن يُحصى، حتى قال بعض السلف: "كاد القرآن أن يكون كله لموسى: [٥٢]

ومن الغيبيات التي أعادها الله وثنَّاها في القرآن تكرارًا ومرارًا قصة موسى عليه السلام.

ولقد جاء ذكر موسى عليه السلام وقصته وخبره في كثير من سور القرآن الكريم.

فقد ذكر اسمه قرابة مائة وست وثلاثين مرة. وذلك في أربع وثلاثين سورة من سور القرآن الكريم، وها هى مرتبة **على الترتيب العددي التنازلي على النحو التالي:**

١- سورة الأعراف: ٢١مرة

٢- سورة القصص: ١٨ مرة

٣- سورة طه: ١٧ مرة

٤- سورة البقرة: ١٣ مرة

٥- سورة يونس: ٨ مرات

٦-سورة الشعراء: ٨ مرات

٧-سورة غافر: ٣ مرات

٨- سورة النساء: ٣مرات

٩- سورة المائدة: ٣ مرات

١٠- سورة الأنعام: ٣ مرات

١١- سورة إبراهيم: ٣ مرات

١٢- سورة النمل: ٣ مرات

١٣- سورة هود: ٣ مرات

١٤- سورة الإسراء: ٣ مرات

١٥- سورة الكهف: مرتان

١٦- سورة المؤمنون: مرتان

---

[٥١] يُنسب هذا المثل لـ"عقيل بن علفة"، يُنظر: مع الجواهر في الملح والنوادر(٤٦/١).

[٥٢] قال السيوطي: " ومع هذا كله لم يفرد لموسى سورة تسمى به مع كثرة ذكره في القرآن حتى قال بعضهم كاد القرآن أن يكون كله لموسى". يُنظر: الإتقان: (١٥٧/١). الإتقان في علوم القرآن المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م عدد الأجزاء: ٤.

شبكة الألوكة www.alukah.net

١٧- سورة الأحزاب: مرتان

١٨- سورة الصافات: مرتان

١٩- سورة الأحقاف: مرتان

٢٠- سورة آل عمران: مرة واحدة

٢١- سورة مريم: مرة واحدة

٢٢- سورة الأنبياء: مرة واحدة

٢٣- سورة الحج: مرة واحدة

٢٤- سورة الفرقان: مرة واحدة

٢٥- سورة العنكبوت: مرة واحدة

٢٧- سورة السجدة: مرة واحدة

٢٧- سورة فصلت: مرة واحدة

٢٨- سورة الشورى: مرة واحدة

٢٩- سورة الزخرف: مرة واحدة

٣٠- سورة الذاريات: مرة واحدة

٣١- سورة النجم: مرة واحدة

٣٢- سورة الصف: مرة واحدة

٣٣- سورة النازعات: مرة واحدة

٣٤- سورة الأعلى: مرة واحدة

ولنتخير بعض المواضع من آي القرآن التي ورد فيها ذكر خبر موسى عليه السلام على النحو التالي:

قال تعالى في سورة البقرة:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ (البقرة: ٦٧).

وقال تعالى في سورة النساء: ﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ (١٦٤: النساء)

وقال تعالى في سورة الأعراف:

﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ (١٤٢: الأعراف)

وقال تعالى في سورة الأعراف – أيضًا – :

﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾ (١٤٣: الأعراف)

وقال تعالى في سورة الأعراف – أيضًا – :

شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ ﴾ (١٤٨: الأعراف).

قال تعالى في سورة إبراهيم:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (إبراهيم: ٥).

وقال تعالى في سورة الكهف:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ (٦٠: الكهف)

وقال تعالى في سورة الإسراء:

﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ﴾ (الإسراء: ٢).

وقال سبحانه في سورة الإسراء أيضًا:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ (١٠١ الإسراء)

وقال عز وجل في سورة الدخان:

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴾ (الدخان: ١٧).

وقال سبحانه في سورة والنازعات:

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ (النازعات: ١٥).

هذا كله غيض من فيض عن بعض ما ورد ذكره من قصة موسى وخبره في القرآن الكريم.

ومثالًا عن تلك الغيبيات التي أعادها الله وكررها وثنَّاها في القرآن الكريم وذكرها تكرارًا ومرارًا ذكر قصته عليه السلام وخبره مع فرعون وقومه، وهي من الغيبيات المشتملة على العبر المؤثرات العظام، والحكم البالغات الجسام، والمواعظ النافعات الكبار، ولقد ذكرت تلك القصة في القرآن قرابة عشرين مرة.

ولنتأمل ذلك كمثال في صدر سورة القصص وما تبعها من آيات

قال تعالى: ﴿ طسم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ(٤)﴾ (القصص: ٢-٤).

وقد ذكر الله تعالى خبر موسى عليه السلام في القرآن الكريم في مائة وست وثلاثين مرة. وذلك في أربع وثلاثين سورة من سور القران الكريم كما مر بنا ذلك آنفًا، وأغلب السور المكيه تناولت قصته عليه السلام قبل خروجه من مصر، أما السور المدنية؛ فأبرز ما ورد فيها من قصته -عليه السلام- معاناته مع بنى إسرائيل بعد خروجه من مصر وغرق فرعون وقومه....

شبكة الألوكة www.alukah.net

و موسى أُلقِي في اليم طفلًا رضيعًا، و نشأ وترعرع في قصر فرعون، وخرج خائفًا يترقب حتى وصل أرض مدين وعاش فيها وتزوج ابنة الرجل الصالح، ثم عاد قافلًا إلى مصر، وفي الواد المقدس كلمه ربه تكليمًا وأوحي إليه تكليفًا وتكريمًا، ثم عالج صراعًا مع فرعون وقومه سنين عدة، ثم كان بعد ذلك ما أخبر الله به من إغراقه لفرعون وقومه، ونجاة موسى عليه السلام وقومه، ثم تأمل جيدًا قصته وخبره مع الخضر عليه السلام، ثم أعد التأمل فيما دار بينهما من حوار في خبر أصحاب السفينة، ثم خبر الغلام الذي قتله الخضر عليه السلام، ثم خبر الجدار الذي أقامه، هل كان ذلك كله تخمينًا وضربًا من الخيال، وكيف يتنبأ بذلك نبي أمي لم يتلق كتابًا قبله قط، فلا يمكن أن يكون ذلك أبدًا إلا وحيًا أوحاه الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

قال الإمام أحمد بن حنبل(ت: ٢٤١هـ) – رحمه الله –:

"أحسن أحاديث الأنبياء حديث تكليم الله لموسى عليه السلام ".[٥٣]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ) – رحمه الله –:

"قصة موسى عليه السلام هي أعظم قصص الأنبياء المذكورين في القرآن، وهي أكبر من غيرها، وتبسط أكثر من غيرها".[٥٤]

وقال – رحمه الله – أيضًا:

" وثنى قصة موسى مع فرعون؛ لأنهما في طرفي نقيض في الحق والباطل فإن فرعون في غاية الكفر والباطل حيث كفر بالربوبية وبالرسالة، وموسى في غاية الحق والإيمان من جهة أن الله كلمه تكليمًا لم يجعل الله بينه وبينه واسطة من خلقه، فهو مثبت لكمال الرسالة وكمال التكلم، ومثبت لرب العالمين بما استحقه من النعوت، وهذا بخلاف أكثر الأنبياء مع الكفار، فإن الكفار أكثرهم لا يجحدون وجود الله ولم يكن أيضًا للرسل من التكليم ما لموسى؛ فصارت قصة موسى وفرعون أعظم القصص وأعظمها اعتبارا لأهل الإيمان ولأهل الكفر؛ ولهذا كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يقص على أمته عامة ليله عن بني إسرائيل وكان يتأسى بموسى في أمور كثيرة".[٥٥]

وقال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) – رحمه الله–:

" يذكر سبحانه وتعالى قصة موسى عليه السلام ويعيدها ويبديها ويسلي رسوله صلى الله عليه وسلم."[٥٦]

وقال الحافظ ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) – رحمه الله –:

" وكثيرًا ما يذكر الله تعالى قصة موسى – عليه السلام – مع فرعون في كتابه العزيز لأنها من أعجب القصص".[٥٧]

---

[٥٣] مجموع الفتاوى: (١٧/٣٢).

[٥٤] شرح العقيدة الأصفهانية: (ص: ٢٠٩).

[٥٥] مجموع الفتاوى: (٩/١٢).

[٥٦] جلاء الأفهام: (ص:١٩٩).

[٥٧] تفسير ابن كثير: (٢٨٥/٤).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال ابن سعدي(ت: ١٣٧٦هـ) – رحمه الله – :

" وليس في قصص القرآن أعظم من قصة موسى عليه السلام ؛ لأنه عالج فرعون وجنوده، وعالج بني إسرائيل أشد المعالجة، وهو أعظم أنبياء بني إسرائيل، وشريعته وكتابه التوراة هو مرجع أنبياء بني إسرائيل وعلمائهم وأتباعه أكثر أتباع الأنبياء غير أمة محمد – صلى الله عليه وسلم –،وله من القوة العظيمة في إقامة دين الله والدعوة إليه والغيرة العظيمة ما ليس لغيره".[٥٨] .

وقال – رحمه الله – أيضًا :

" أعاد الباري تعالى، قصة موسى وثناها في القرآن ما لم يثن غيرها، لكونها مشتملة على حكم عظيمة وعبر، وفيها نبأه مع الظالمين والمؤمنين، وهو صاحب الشريعة الكبرى، وصاحب التوراة أفضل الكتب بعد القرآن".[٥٩]

وقال السيوطي(ت: ٩١٠هـ) – رحمه الله–:

" ومع هذا كله لم يفرد لموسى سورة تسمى به مع كثرة ذكره في القرآن حتى قال بعضهم كاد القرآن أن يكون كله لموسى".[٦٠]

ولما كانت قصة موسى عليه السلام في القرآن أكثر من نحيط بها في بحث أو مقال، فاكتفينا بمثال ليوضح الحال، ولعل في الإشارة ما يغني عن العبارة.

المطلب الخامس: ذكر نبأ عيسى عليه السلام

ومن أبين ما ورد ذكره عن نبأ عيسى عليه السلام، ما يلي:

١– بشرى الملائكة لمريم عليها السلام باصطفاء الله لها

ذكر الله تعالى من خبر بشرى الملائكة لمريم باصطفائه تعالى لها فقال سبحانه:

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ (آل عمران: ٤٢–٤٣).

٢– بشرى الملائكة لمريم بـ "عيسى" عليهما السلام

كما قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (آل عمران :٤٥–٤٧).

---

[٥٨] تفسير ابن سعدي: (ص: ٢٢٣).

[٥٩] المرجع السابق: (ص: ٥٨٩)

[٦٠] يُنظر: الإتقان: (١٥٧/١). وقد سبق ذكره آنفًا.

شبكة الألوكة www.alukah.net

٣- بشرى جبريل عليه السلام لمريم بميلاد عيسى عليه السلام

قال سبحانه: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾ (مريم:١٦ - ٢١).

٤- إخبار الله تعالى عن حمل مريم بعيسى عليه السلام

فلما أخبرها جبريل بذلك الأمر الجلل استسلمت لقضاء الله ورضيت بقدره، فجاءها ونفخ في جيب درعها....﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا ﴾ (مريم:٢٢ - ٢٣).

٥- إخبار الله تعالى عن بعث الطمأنينة في نفس مريم، وسوق رزقها إليها

قال تعالى: ﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ (مريم :٢٤ - ٢٦).

٦- إخبار الله تعالى عن ريبة قوم مريم منها واستنكارهم لشأنها

قال تعالى: ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ (مريم:٢٧ - ٢٩).

٧- إخبار الله تعالى عن معجزة نطق عيسى عليه السلام في المهد تبرأة لأمه

أخبر الله تعالى عن شأن عيسى حينما أنطقه في المهد بقول سبحانه:

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ (مريم:٣٠ - ٣٣).

٨- إخبار الله تعالى عن امتراء بني إسرائيل في عيسى عليه السلام

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (مريم:٣٤ -٣٧).

٩- إخبار الله تعالى ببشرى تشريفه سبحانه لعيسى عليه السلام بالنبوة والرسالة، وتأييده بالمعجزات

شبكة الألوكة www.alukah.net

قال تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ (آل عمران: ٤٨ – ٥١).

وما أخبر الله في كتابه عن الغيبيات الواردة في حق عيسى عليه السلام كثيرة ومعلومة.

المبحث الثالث: الإخبار عن الكثير من قصص الأولين وأخبار السابقين

وفيه مطالب:

المطلب الأول: الإخبار عن نبأ قوم عاد[٦١] وثمود[٦٢] وما أصابهما من بلاء وعذاب

ومنه: الإخبار عن نبأ قوم عاد[٦٣] وثمود[٦٤] وما أصابهما من بلاء ونكال وصواعق وعذاب شديد، وتأمل ذلك في مواضع شتى من كتاب الله.

١ – ومن ذلك ما ورد في قوله الله تعالى في سورة فصلت:

قال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٣) إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (١٤) فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا

---

[٦١] عن إسحاق بن بشر وابن عساكر من طريق مقاتل عن الضحاك... أن عادًا كانوا أصحاب أوثان يعبدونها فبعث الله لهم هودًا... فدعاهم إلى عبادة الله وأمرهم أن يوحدوه، وان يكفوا عن ظلم الناس فأبوا ذلك وكذبوه.. وكانت منازلهم بالأحقاف، والأحقاف الرمل فيما بين عمان إلى حضرموت باليمن، وكانوا مع ذلك قد أفسدوا في الأرض كلها، وقهروا أهلها بفضل قوتهم التي آتاهم الله. (اهـ). يُنظر: تفسير المنار (٨/ ٤٩٧). بتصرف. تفسير المنار: تفسير القرآن الحكيم المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠ م عدد الأجزاء: ١٢ جزءًا.

[٦٢] ثمود قبيلة من العرب سميت باسم جدهم ثمود ابن عاد بن إرم بن سام بن نوح... وعن عمر بن العلاء: أنهم سموا بذلك لقلة مائهم، فالثمد: الماء القليل... وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى... يُنظر: تفسير المنار (٨/ ٥٠٣).

[٦٣] عن إسحاق بن بشر وابن عساكر من طريق مقاتل عن الضحاك... أن عادًا كانوا أصحاب أوثان يعبدونها فبعث الله لهم هودًا... فدعاهم إلى عبادة الله وأمرهم أن يوحدوه، وان يكفوا عن ظلم الناس فأبوا ذلك وكذبوه.. وكانت منازلهم بالأحقاف، والأحقاف الرمل فيما بين عمان إلى حضرموت باليمن، وكانوا مع ذلك قد أفسدوا في الأرض كلها، وقهروا أهلها بفضل قوتهم التي آتاهم الله. (اهـ). يُنظر: تفسير المنار (٨/ ٤٩٧). بتصرف

[٦٤] ثمود قبيلة من العرب سميت باسم جدهم ثمود ابن عاد بن إرم بن سام بن نوح... وعن عمر بن العلاء: أنهم سموا بذلك لقلة مائهم، فالثمد: الماء القليل... وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى... يُنظر: تفسير المنار (٨/ ٥٠٣).

شبكة الألوكة www.alukah.net

بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ (١٦) وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (١٨) ﴾ (فصلت:١٣-١٨).

٢- وما ورد عن نوعي العذاب الذي أصابهما أيضًا، وذلك في قوله تعالى في سورة الحاقة: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (٨) ﴾ الحاقة: ٤-٨).

٣- ويقول الله تعالى عن نبأ إهلاكهما في سورة النجم أيضًا:

﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (٥٠) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى (٥١) ﴾ (النجم:٥٠-٥١)

-ويقول الله تعالى عن نبأ ثمود في سورة الذاريات أيضًا: ﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ (٤٣) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٤٤) فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ (٤٥) ﴾ (الذاريات:٤٣-٤٥).

٤- ويقول الله تعالى عن نبأ عاد وثمود وفرعون وما أصابهم من العذاب في سورة الفجر- أيضًا -:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤) ﴾ (الفجر:٦-١٤)

المطلب الثاني: الإخبار عن العزير

ومنه: الإخبار عن العزير

وتأمل قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة: ٢٥٩).

المطلب الثالث: الإخبار عن أبرهة الأشرم وحادثة الفيل

ومنه: الإخبار عن أبرهة الأشرم وحادثة الفيل، ثم تأمل ذلك في سورة الفيل.

واعلم أن الإخبار عن تلك الغيبيات الماضية منذ مبدأ الخلق إلى مولده عليه الصلام والسلام يدل دلالة واضحة لا تدع أي مدخل أو ريبة في أن القرآن كلام الله حقًا، ووحيه صدقًا، وأن الله تعالى قد أوحاه لنبي أمي لا يقرأ ولا يكتب، ولم يتلق أي علم من بشر، وقد قال الله عن افتراء الكفار في ذلك:

شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ (الفرقان:٤)

وقال سبحانه: ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ (الفرقان:٥).

وقال سبحانه أيضًا: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (النحل: ١٠٣)، فرد الله جل في علاه عليهم شبهاتهم وأبطل مزاعمهم ودحض أباطيلهم بقوله سبحانه: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (العنكبوت: ٤٨)

بل هو كما وصفه ربنا بقوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيد ﴾ (فصلت: ٤١-٤٢).

شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الثالث

الْمُغَيَّبات التي تَتعلَّق بالزمن الحاضر الواقع في زمنِ نزول القرآن

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الإخبار عن النفاق وحال المنافقين

وفيه خمسة مطالب:

يتناول الباحث هنا: الإعجاز الغيبي الثاني، وهو الإخبار عن الأمور الغيبية التي تتعلق بغُيُوبٍ في الزمن الحاضر الْمُعاصِر والواقع في زمنِ نزول القرآن عن أمور مُتَعَلِّقة بغُيُوبٍ لِمَن هم في عصْر الرسالة.

لقد أنزل الله آيات بينات فضحت أهل النفاق من خلال مواقف وأحداث لم يحضرها رسول – صلى الله عليه وسلم – فجاء الوحي بإخباره وإعلامه بها، وهنا يذكر الباحث طرفًا منها في المطالب التالية:

المطلب الأول: الإخبار بما يبطنه الأخنس بن شريق الثقفي

ومن ذلك:

ما ورد في قوله تعالى:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ ﴾ (البقرة:٢٠٤)

قال السدي(ت: ١٢٧هـ) – رحمه الله –:

"هذه الآية وثلاث آيات بعدها نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي، جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأظهر الإسلام، وفي باطنه خلاف ذلك.

وعن ابن عباس – (ت: ٦٨هـ) – رضي الله عنهما–:

أنها نزلت في نفر من المنافقين تكلموا في خبيب وأصحابه الذين قتلوا بالرجيع، وعابوهم فأنزل الله ذم المنافقين ومدح خبيبًا وأصحابه.

وقيل: بل ذلك عام في المنافقين كلهم، وهذا قول قتادة، ومجاهد، والربيع بن أنس، وغير واحد، وهو الصحيح".[٦٥]

وفي قوله تعالى:

﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ (التوبة:٦٤)

والمعنى:

قال الطبري(ت: ٣١٠هـ) – رحمه الله –:

يقول – تعالى ذكره – : يخشى المنافقون أن تنزل فيهم

---

[٦٥] عمدة القاري شرح صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب قول الله تعالى وهو ألد الخصام (٢٣٢٥).

شبكة الألوكة www.alukah.net

سورة تنبئهم بما في قلوبهم

﴿ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ يقول: تظهر المؤمنين على ما في قلوبهم.

وقيل: إن الله أنزل هذه الآية على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ؛ لأن المنافقين كانوا إذا عابوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وذكروا شيئًا من أمره وأمر المسلمين، قالوا: " لعل الله لا يفشي سرنا ! " فقال الله لنبيه – صلى الله عليه وسلم – : قل لهم: ﴿ اسْتَهْزِئُوا ﴾ متهددًا لهم متوعدًا ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾[٦٦] .

المطلب الثاني: الإخبار بما يبطنه بعض المنافقين من إرادة الفتك برسول الله– صلى الله عليه وسلم –

ومن ذلك أيضًا:

ما ورد في قوله تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾ (التوبة: ٧٤)

مُناسبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

أنَّ هذه الآيةَ بيانٌ للسَّبَبِ المقتَضي لجهادِ المنافِقينَ كالكُفَّار، وهو أنَّهم أظهَروا الكُفرَ بالقَولِ، وهمُّوا بشَرٍّ ما يُغري به مِن الفِعلِ، وهو الفَتكُ برَسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم. [٦٧]

والمعنى:

﴿ بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾.

أي: وهمَّ المنافِقونَ أن يفعلوا من الشَّرِّ والفَتْكِ برَسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم حين رجَعَ مِن غزوةِ تَبوكَ، ما لم يستطيعوا الوصولَ إليه؛ إذ عصَمَه اللهُ تعالى منهم.[٦٨]

فهل كان النبي – صلى الله عليه وسلم – معهم هؤلاء المنافقين: ﴿ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ (النساء: من آية: ١٠٨).

المطلب الثالث: فضْحُ مَكايد المُنافِقين ومُؤامراتهم في اتخاذهم لمسجد الضرار

---

[٦٦] تفسير الطبري (١٤/٣٣٢).

[٦٧] يُنظر: تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا: (١٠/٤٧٦).

[٦٨] يُنظر: تفسير البغوي: (٢/٣٧٠، ٣٧١)، تفسير الرازي: (١٦/١٠٤)، مجموع الفتاوى: لابن تيمية (٧/٢٧٣)، زاد المعاد: لابن القيم (٣/٤٧٧، ٤٧٨)، تفسير ابن كثير: (٤/١٨٢)، تفسير الألوسي: (٥/٣٢٨)، تفسير الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ عدد الأجزاء: ١٦ (١٥ ومجلد فهارس). ، تفسير المنار: لمحمد رشيد رضا: (١٠/٤٧٧)، تفسير ابن سعدي: (ص: ٣٤٤)، تفسير ابن عاشور: (١٠/٢٧٠). تفسير ابن عاشور: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، عدد الأجزاء: ٣٠ (والجزء رقم ٨ في قسمين).

شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن ذلك أيضًا:

فضْحُ مَكايد المُنافِقين ومُؤامراتهم؛ كما حدَث في اتخاذهم لمسجد الضرار؛ الذي قال تعالى في شأنه:

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) ﴾ (التوبة: ١٠٧ – ١٠٨).

يقول ابن كثير(ت: ٧٧٤هـ) – رحمه الله –:

"سبب نزول هذه الآيات الكريمات: أنه كان بالمدينة قبل مَقدَم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إليها رجل من الخزرج يقال له: " أبو عامر الراهبُ "، وكان قد تَنَصَّر في الجاهلية وقرأ علْم أهل الكتاب، وكان فيه عبادة في الجاهلية، وله شرف في الخزرج كبير، فلما قَدم رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – مهاجرًا إلى المدينة، واجتمع المسلمون عليه، وصارت للإسلام كلمة عالية، وأظهرهم الله يوم بدر، شَرِق اللعين أبو عامر بريقه، وبارز بالعداوة، وظاهر بها، وخرج فارًّا إلى كفار مكة من مشركي قريش، فألَّبهم على حرب رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب، وقدموا عام أحد، فكان من أمر المسلمين ما كان، وامتحنهم الله، وكانت العاقبة للمتقين.

وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفين، فوقع في إحداهن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصيب ذلك اليوم، فجرح في وجهه، وكُسِرت رباعِيتُه اليمنى السفلى، وشُجَّ رأسه، صلوات الله وسلامه عليه. وتقدم أبو عامر في أول المبارزة إلى قومه من الأنصار، فخاطبهم واستمالهم إلى نصره وموافقته، فلما عرفوا كلامه قالوا: لا أنعم الله بك عينًا يا فاسق يا عدو الله، ونالوا منه وسبُّوه. فرجع وهو يقول: والله لقد أصاب قومي بعدي شَر.

وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد دعاه إلى الله قبل فراره، وقرأ عليه من القرآن، فأبى أن يسلم وتمرَّد، فدعا عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يموت بعيدًا طريدًا، فنالته هذه الدعوة.

وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد، ورأى أمرَ الرسول صلوات الله وسلامه عليه في ارتفاع وظهور، ذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي صلى الله عليه وسلم، فوعده ومَنَّاه، وأقام عنده، وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والريب يعدهم ويُمَنِّيهم أنه سيقدمُ بجيش يقاتل به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ويغلبه ويرده عما هو فيه، وأمرهم أن يتخذوا له مَعقلا يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كُتُبه، ويكونَ مرصدًا له إذا قدم عليهم بعد ذلك، فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء، فبنوه وأحكموه، وفرغوا منه قبل خروج النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى تبوك، وجاءوا فسألوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم، ليحتجوا بصلاته عليه السلام فيه على تقريره وإثباته، وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية، فعصمه الله من الصلاة فيه فقال: (إنا على سفر، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله) [٦٩] ، فلما قفل

---

[٦٩] سيأتي بطوله مع تخريجه بعد قليل.

شبكة الألوكة www.alukah.net

عليه الصلاة والسلام راجعًا إلى المدينة من تبوك، ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم، نزل عليه الوحي بخبر مسجد الضِّرار، وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم مسجد قباء الذي أسس من أول يوم على التقوى، فبعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى ذلك المسجد من هَدَمه قبل مقدمه المدينة.

كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس – رضي الله عنهم– في قوله:

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وهم أناس من الأنصار، ابتنوا مسجدًا، فقال لهم أبو عامر: ابنوا مسجدًا واستعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم، فآتي بجند من الروم وأخرج محمدًا وأصحابه. فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي – صلى الله عليه وسلم – فقالوا: قد فرغنا من بناء مسجدنا، فنحب أن تصلي فيه وتدعو لنا بالبركة. فأنزل الله عز وجل:

﴿ لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[٧٠]

وكذا رُوي عن سعيد بن جُبير، ومجاهد، وعروة بن الزبير، وقتاد، وغير واحد من العلماء.

وقال محمد بن إسحاق بن يَسَار، عن الزهري، ويزيد بن رومان، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عُمَر بن قتادة، وغيرهم، قالوا: أقبل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعني من تبوك – حتى نزل بذي أوان – بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار [٧١] – وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله، إنا قد بنينا مسجدًا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه. فقال: (إني على جناح سَفر وحال شُغل – أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم – ولو قد قدمنا إن شاء الله تعالى أتيناكم فصلينا لكم فيه)[٧٢] ، فلما نزل بذي أوان أتاه خبرُ المسجد، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدُّخْشُم أخا بني سالم بن عوف، ومعن بن عدي – أو: أخاه عامر بن عدي – أخا بني العجلان فقال: (انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه). فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف، وهم رهط مالك بن الدّخشم، فقال مالك لمعن: أنظرني حتى أخرج إليك بنار من أهلي. فدخل أهله فأخذ سَعَفا من النخل، فأشعل فيه نارًا، ثم خرجا يَشتدَّان حتى دخلا المسجد وفيه أهله، فحرقاه وهدماه وتفرقوا عنه. ونزل فيهم من القرآن ما نزل: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا ﴾ إلى آخر القصة.

وكان الذين بنوه اثني عشر رجلا، وهم:

---

[٧٠] تفسير ابن كثير: (٤/ ٢١٧).

[٧١] يُنظر: السير والمغازي لابن إسحاق: (٤/١٥٥-١٥٦).

[٧٢] قلت هكذا أورده الحافظ ابن كثير عن طريق ابن إسحاق عن الزهري عن الجماعة المذكورين مرسلًا، وهو في السيرة لابن هشام: (٤/١٧٥-١٧٦) بهذا السياق بدون إسناد، وأما السيوطي فأورده في "الدر المنثور": (٣/٢٧٦-٢٧٧) بهذا السياق من تخريج ابن إسحاق وابن مردويه عن أبي رهم كلثوم بن الحصين الغفاري وكان من الصحابة الذين بايعوا تحت الشجرة قال فذكره، ومن تخريجهما عن ابن عباس رضي الله عنهما مختصرًا. والله أعلم.

يُنظر: إرواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل: (٥/٣٧٠-٣٧١).

شبكة الألوكة www.alukah.net

١) ١-خذام بن خالد، من بني عُبَيد بن زيد، أحد بني عمرو بن عوف، ومن داره أخرج مسجد الشقاق.

٢) وثعلبة بن حاطب، من بني عبيد وهو إلى بني أمية بن زيد.

٣) ومعتِّب بن قُشي، من بني ضُبَيعة بن زيد.

٤) وأبو حبيبة بن الأذعر، من بني ضُبَيعة بن زيد.

٥) وعَبَّاد بن حُنَيف، أخو سهل بن حنيف، من بني عمرو بن عوف.

٦) وجارية بن عامر.

٧) وابناه: مُجَمِّع بن جارية.

٨) وزيد بن جارية.

٩) ٩- ونَبْتَل بن الحارث، من بني ضبيعة.

١٠) وبحزج وهو من بني ضبيعة.

١١) وبجاد بن عُثمان وهو من بني ضُبَيعة.

١٢) ووديعة بن ثابت وهو إلى بني أمية رهط أبي لبابة بن عبد المنذر.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَيَحْلِفُنَّ ﴾أي: الذين بنوه: ﴿ إِنْ أَرَدْنَا إِلا الْحُسْنَى ﴾ أي: ما أردناه ببنيانه إلا خيرًا ورفقًا بالناس.

قال الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾أي: فيما قصدوا وفيما نوَوا، وإنما بنوه ضِرارا لمسجد قُباء، وكفرا بالله، وتفريقًا بين المؤمنين، وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله، وهو أبو عامر الفاسق، الذي يقال له: " الراهب " لعنه الله.

وقوله: ﴿ لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ نهي من الله لرسوله صلوات الله وسلامه عليه، والأمة تَبَع له في ذلك، عن أن يقوم فيه، أي: يصلي فيه أبدًا.

ثم حثه على الصلاة في مسجد قُباء الذي أسس من أول يوم بنائه على التقوى، وهي طاعة الله وطاعة رسوله، وجمعًا لكلمة المؤمنين، ومَعقلًا وموئلًا للإسلام وأهله؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾ والسياق إنما هو في معرض مسجد قباء؛ وقد صرح بأنه مسجد قباء جماعة من السلف، رواه علي بن أبي طلح، عن ابن عباس. ورواه عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن الزهر، عن عُرْوَة بن الزبير. وقاله عطية العوفي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، والشعبي، والحسن البصري، ونقله البغوي عن سعيد بن جُبَي، وقتادة.

وقد ورد في الحديث الصحيح: أن مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي هو في جوف المدينة هو المسجد الذي أسس على التقوى. وهذا صحيح، ولا منافاة بين الآية وبين هذا؛ لأنه إذا كان مسجد قباء قد أسس على التقوى من أول يوم، فمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الأولى والأحرى ".[٧٣]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) - رحمه الله - اقتضاء الصراط المستقيم:

---

[٧٣] تفسير ابن كثير: (٤/٢١٠-٢١٤).

شبكة الألوكة www.alukah.net

"وكان مسجد الضرار قد بني لأبي عامر الفاسق الذي كان يقال له أبو عامر الراهب، وكان قد تنصر في الجاهلية، وكان المشركون يعظمونه، فلما جاء الإسلام حصل له من الحسد ما أوجب مخالفته للنبي – صلى الله عليه وسلم – ، وفراره إلى الكافرين، فقام طائفة من المنافقين يبنون هذا المسجد، وقصدوا أن يبنوه لأبي عامر هذا، والقصة مشهورة في ذلك، فلم يبنوه لأجل فعل ما أمر الله به ورسوله، بل لغير ذلك ".[٧٤]

ويقول شيخنا الفقيه العلامة ابن عثيمين(ت: ١٤٢٠هـ) – رحمه الله – في مجموع فتاويه:

"مسجد الضرار بني على نية فاسدة، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾

والمتخذون هم المنافقون، وغرضهم من ذلك:

مضارة مسجد قباء: ولهذا يسمى مسجد الضرار ١–

٢– الكفر بالله: لأنه يقرر فيه الكفر – والعياذ بالله – ؛ لأن الذين اتخذوه هم المنافقون.

٣– التفريق بين المؤمنين: فبدلًا من أن يصلي في مسجد قباء صف أو صفان يصلي فيه نصف صف، والباقون في المسجد الآخر، والشرع له نظر في اجتماع المؤمنين.

٤– الإرصاد لمن حارب الله ورسوله يقال: إن رجلا ذهب إلى الشام، وهو أبو عامر الفاسق، وكان بينه وبين المنافقين الذين اتخذوا المسجد مراسلات، فاتخذوا هذا المسجد بتوجيهات منه، فيجتمعون فيه لتقرير ما يريدونه من المكر والخديعة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، قال الله تعالى: ﴿ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى ﴾، فهذه سنة المنافقين: الأيمان الكاذبة ".[٧٥]

ولِيُعلَمَ أن القصة مروية في عدد من التفاسير المسندة بأسانيد صحيحة من طرق عدة، فلتراجع في مظانها. [٧٦]

وكذلك في سورة براءة–"التوبة"–المدمرة –المبعثرة –الفاضحة التي فضحت المنافقين، فيها بيانٌ لكثيرٍ مِن المغَيَّبات التي كانت حاضرة وقتَ نزول القرآن، وقد أُخبِرَ بها النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم، ولم يكُن يَعلم بها حتى نزَل القرآنُ بها وبَيّنها وجلاها؛

فهل كان النبي – صلى الله عليه وسلم – معهم هؤلاء جميعًا: ﴿ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ (النساء: من آية: ١٠٨).

---

[٧٤] اقتضاء الصراط المستقيم: (ص:٤٣١).

[٧٥] مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٩/٢٢٦-٢٢٧)

[٧٦] وقصة مسجد الضرار قد وردت تفاصيلها في كتب التفسير المسندة من طرق عدة، منها: طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس – كما في تفسير ابن أبي حاتم (رقم/١٠٠٦٠) بسند صحيح، ومن طرق صحيحة أخرى إلى جماعة من التابعين، ولما كان أصل تفسير القصة ثابتًا عن ابن عباس رضي الله عنهما بالسند الصحيح، كان ذلك كافيًا في توضيح الحادثة، والآثار الأخرى الواردة عن تلاميذ ابن عباس من التابعين وغيرهم تزيد القصة وضوحًا وبيانًا، والحمد لله. ويُنظر تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في كتاب الكشاف " للزيلعي (٢/٩٩-١٠٢)، " الدر المنثور للسيوطي" (٤/٢٨٤-٢٨٨)، " زاد المعاد " (٣/٥٤٩)، " السيرة النبوية " لابن هشام (٥/٢١١) وغيرها.

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الرابع: الإخبار عن إخلاف الوعد من قبل بعض المنافقين

ومِن ذلك – أيضًا–: مواقف المنافقين التي بينها الله تعالى في كتابه الكريم؛ والتي منها قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٧٧) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (٧٨) ﴾(التوبة: ٧٥-٧٨).

والمعنى:

- **قال ابن كثير** (ت: ٧٧٤هـ) **– رحمه الله –:**

"يقول تعالى: ومن المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه: لئن أغناه من فضله ليصدقن من ماله، وليكونن من الصالحين. فما وفى بما قال، ولا صدق فيما ادعى، فأعقبهم هذا الصنيع نفاقًا سكن في قلوبهم إلى يوم يلقون الله – عز وجل – يوم القيامة

عياذًا بالله من ذلك."[٧٧]

فهل كان النبي – صلى الله عليه وسلم – معهم هؤلاء – أيضًا –: ﴿ **إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ** ﴾ (النساء: من آية: ١٠٨).

المطلب الخامس: الإخبار عن ابن سَلُول رأس المنافقين

ومِن ذلك – أيضًا–: ما ذكر الله تعالى وأَخبَر به في كتابه مِن شأن المنافقين:

- موقف رأس النفاق وزعيم المنافقين عبدِ الله بن أُبَيّ بن سَلُول الأزدي الخزرجي والذي ترأس النفاق في أرض الهجرة، وهو يظن نفسه كما قيل: " لص الدار لا تراقبه الأنظار"، ولكن الله كان له بالمرصاد ففضحه في عقر داره، فقال عنه سبحانه: ﴿ **هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (٧) يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨)** ﴾ (المنافقون: ٧-٨)، ثم تأمل مطلع السورة كذلك، وما تلاها وتبعها من آيات في وصف النفاق والمنافقين.

- **عن زيد بن أرقم** (ت: ٦٦هـ) **– رضي الله عنه– قال –:**[٧٨]

---

[٧٧] تفسير ابن كثير: (١٨٤/٤).

[٧٨] زَيْد بْن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان الأنصاري الخزرجي، صحابي مشهور، أول مشاهده الخندق، (ت: ٦٦هـ)، الاستيعاب (١٠٩/٢، التقريب ٢٢٢).

(ت)وفى بالكوفة سنة ست وستين. وقال محمد بن سعد وآخرون: سنة ثمان وستي، وللاستزادة يُنظر: تهذيب الأسماء واللغات لمؤلفه: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)،ج١ ص ١٩٩

شبكة الألوكة www.alukah.net

كنت مع النبي – صلى الله عليه وسلم – في غزاة، فسمعت عبد الله بن أُبيّ ابن سلول يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من عنده، ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذلَّ. فحدَّثتُ به عمِّي، فأتى النبي – صلى الله عليه وسلم – فأخبره، فدعاني رسول الله، فأخبرته، فبعث إلى عبد الله بن أبيّ وأصحابه، فجاؤوا، فحلفوا بالله ما قالوا، فصدَّقه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكذَّبني، فدخلني من ذلك همٌّ، وقال لي عمِّي: ما أردتَ إلى أن كذَبك رسول الله، ومقتَك، فأنزل الله : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾، فدعاهم رسول الله، فقرأها عليهم، ثم قال: "إن الله قد صدقَكَ يا زيد".[٧٩] .

وقد تبادر أبو بكر وعمر إلى زيد ليبشراه فسبق أبو بكر عمر فأقسم عمر ألا يبادره بعدها إلى شيء، وجاء النبي فأخذ بأذن زيد وقال: "وفت أذنك يا غلام".[٨٠]

وابن سلول قال تلك الكلمة الشنيعة في حقِّ خير خلق الله –صلَّى الله عليه وسلَّم–، فأسرع زيدُ بنُ أرقم– رضي الله عنه– فأَخبَر بها رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فلمَّا سُئِل ابن سلول عن ذلك أَنكَر أشد الإنكار، فأنزل الله تعالى تلك الآيات تصْديقًا لزيدِ بنِ أرقم– رضي الله عنه–، وهذا وشبهه في حال المنافقين في القرآن كثير.

فهل كان النبي – صلى الله عليه وسلم – مع ابن سلول رأس النفاق وأصحابه –: ﴿ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ (النساء: من آية: ١٠٨).

المبحث الثاني: الإخبار عن نصرة الله لرسوله وللمؤمنين والتمكين لهم في الأرض وتحقق ذلك

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تحقق وعد الله بعصمة نبيه – صلى الله عليه وسلم – حتى يبلغ رسالة ربه

لقد أقلقت دعوة الإسلام الوليدة في جزيرة العرب مضاجع مشركي العرب وأثارت حميتهم في مكة، وبعد الهجرة لطيبة الطيبة تتابع الأمر من قبل حقد اليهود الدفين ومكرهم وخبثهم، وتلاحم معهم المنافقون وكل من لم يرد الله أن يشرح صدره للإسلام، فاجتمع هؤلاء كلهم ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (التوبة: ٣٢)

فصنعوا للنبي – صلى الله عليه وسلم – كل المكائد وشكلوا له كل ألوان وصنوف العداوة والبغضاء، وكثرت مؤامراتهم جميعًا لهدف اغتياله – صلى الله عليه وسلم – وقتله للقضاء على دعوته، لكن الله – تعالى – تكفل الله بحماية رسوله وعصمته حتى يبلغ رسالة ربه، وقد طمأنه الله بذلك في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ

---

[٧٩] متفق عليه، البخاري (١ / ٣٢٧) برقم (٤٩٠٠)، مسلم (٤ / ٢١٤٠) برقم (٢٧٧٢).

[٨٠] وقصة عَبد الله بن أَبي بن سلول أخرجها أحمد: ٤ / ٣٦٨ و٣٧٠، والبخاري: ٦ / ١٩٠، والتِّرْمِذِيّ (٣٣١٤) من رواية مُحَمَّد بْن كعب عن زيد. وأخرجها أحمد: ٤ / ٣٧٣، وعَبدُ بن حُميد (٢٦٢)، والبخاري: ٦ / ١٨٩ و١٩١، ومسلم (٢٧٧٢)، والتِّرْمِذِيّ (٣٣١٢) من رواية أَبِي إِسْحَاق عَنْ زَيْد بْن أرقم.

شبكة الألوكة www.alukah.net

مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (المائدة:٦٧).

والمعنى:

قال ابن كثير(ت: ٧٧٤هـ) **رحمه الله –:**

وقوله: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾

أي: بلغ أنت رسالتي، وأنا حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائك ومظفرك بهم، فلا تخف ولا تحزن، فلن يصل أحد منهم إليك بسوء يؤذيك.[٨١]

قال ابن سعدي(ت: ١٣٧٦هـ) **رحمه الله –:**

وقوله: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾

هذه حماية وعصمة من الله لرسوله من الناس، وأنه ينبغي أن يكون حرصك على التعليم والتبليغ، ولا يثنيك عنه خوف من المخلوقين فإن نواصيهم بيد الله وقد تكفل بعصمتك، فأنت إنما عليك البلاغ المبين، فمن اهتدى فلنفسه، وأما الكافرون الذين لا قصد لهم إلا اتباع أهوائهم فإن الله لا يهديهم ولا يوفقهم للخير، بسبب كفرهم.[٨٢]

قال ابن كثير(ت: ٧٧٤هـ) **رحمه الله –:**

وقد كان النبي – صلى الله عليه وسلم – قبل نزول هذه الآية يحرس ...

والصحيح أن هذه الآية مدنية، بل هي من أواخر ما نزل بها، والله أعلم.

ومن عصمة الله عز وجل لرسوله: حفظه له من أهل مكة وصناديدها وحسادها ومعانديها ومترفيها، مع شدة العداوة والبغضة ونصب المحاربة له ليلًا ونهارًا، بما يخلقه الله تعالى من الأسباب العظيمة بقدره وحكمته العظيمة.

فصانه في ابتداء الرسالة بعمه أبي طالب، إذ كان رئيسًا مطاعًا كبيرًا في قريش، وخلق الله في قلبه محبة طبيعية لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا شرعية، ولو كان أسلم لاجترأ عليه كفارها وكبارها، ولكن لما كان بينه وبينهم قدر مشترك في الكفر: هابوه واحترموه، فلما مات أبو طالب نال منه المشركون أذى يسيرًا.

ثم قيض الله عز وجل له الأنصار فبايعوه على الإسلام، وعلى أن يتحول إلى دارهم –وهي المدينة، فلما صار إليها حموه من الأحمر والأسود، فكلما هم أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء، كاده الله ورد كيده عليه، لما كاده اليهود بالسحر حماه الله منهم، وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواء لذلك الداء، ولما سم اليهود في ذراع تلك الشاة بخيبر، أعلمه الله به وحماه الله منه؛ ولهذا أشباه كثيرة جدًا يطول ذكرها.[٨٣]

---

[٨١] تفسير ابن كثير: (٣/ ١٥٠).

[٨٢] تفسير ابن سعدي: (٢٣٩).

[٨٣] تفسير ابن كثير: (٣/ ١٥٠). بتصرف.

شبكة الألوكة www.alukah.net

ويؤيد ذلك ما رواه مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، أَنَّ عَائِشَةَ – رضي الله عنها –، قَالَتْ: "سَهِرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقْدَمَهُ الْمَدِينَةَ، لَيْلَةً، فَقَالَ: لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ سَمِعْنَا خَشْخَشَةَ سِلَاحٍ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: وَقَعَ فِي نَفْسِي خَوْفٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجِئْتُ أَحْرُسُهُ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ نَامَ).[٨٤]

قال النووي(ت: ٦٧٦هـ) – رحمه الله –:

"قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَكَانَ هَذَا الْحَدِيثُ قَبْلَ نُزُولِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَكَ الِاحْتِرَاسَ حِينَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالِانْصِرَافِ عَنْ حِرَاسَتِهِ، وَقَدْ صَرَّحَ فِي الرِّوَايَةِ الثَّانِيَةِ بِأَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ الْأَوَّلَ كَانَ فِي أَوَّلِ قُدُومِهِ الْمَدِينَةَ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَزْمَانٍ".[٨٥]

وعَنْ عَائِشَةَ (ت: ٥٨هـ) – **رضي الله عنها** –، قَالَتْ: (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ فَأَخْرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ مِنَ الْقُبَّةِ، فَقَالَ لَهُمْ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ انْصَرِفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ).[٨٦]

وقد دلل شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) – رحمه الله – أن نزول هذه الآية كان قبل حجة الوداع، فقال:

"وَأَيْضًا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي كِتَابِهِ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ (الْمَائِدَةِ: ٦٧)؛ فَضَمِنَ لَهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ يَعْصِمُهُ مِنَ النَّاسِ إِذَا بَلَّغَ الرِّسَالَةَ، لِيُؤَمِّنَهُ بِذَلِكَ مِنَ الْأَعْدَاءِ; وَلِهَذَا رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ قَبْلَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ يُحْرَسُ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ تَرَكَ ذَلِكَ.

وَهَذَا إِنَّمَا يَكُونُ قَبْلَ تَمَامِ التَّبْلِيغِ، وَفِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ تَمَّ التَّبْلِيغُ.

..فَتَكُونُ الْعِصْمَةُ الْمَضْمُونَةُ مَوْجُودَةً وَقْتَ التَّبْلِيغِ الْمُتَقَدِّمِ، فَلَا تَكُونُ هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ بَعْدَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ ; لِأَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ قَبْلَ ذَلِكَ، وَلِأَنَّهُ حِينَئِذٍ لَمْ يَكُنْ خَائِفًا مِنْ أَحَدٍ يَحْتَاجُ أَنْ يُعْصَمَ مِنْهُ، بَلْ بَعْدَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ كَانَ أَهْلُ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَمَا حَوْلَهُمَا، كُلُّهُمْ مُسْلِمِينَ مُنْقَادِينَ لَهُ، لَيْسَ فِيهِمْ كَافِرٌ، وَالْمُنَافِقُونَ مَقْمُوعُونَ مُسِرُّونَ لِلنِّفَاقِ، لَيْسَ فِيهِمْ مَنْ يُحَارِبُهُ، وَلَا مَنْ يَخَافُ الرَّسُولُ مِنْهُ؛ فَلَا يُقَالُ لَهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ: ﴿ **بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ (الْمَائِدَةِ: ٦٧). [٨٧]

---

[٨٤] رواه مسلم: (٢٤١٠).

[٨٥] شرح النووي عل مسلم: (١٥/ ١٨٣).

[٨٦] رواه الترمذي: (٣٠٤٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: (٢٤٨٩).

[٨٧] منهاج السنة: (٧/ ٣١٥ – ٣١٧).

شبكة الألوكة www.alukah.net

ويقول سماحة شيخنا الإمام ابن باز(ت: ١٤٢٠هـ) – رحمه الله – :

كلمة﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ كلمة مجملة، قد عصمه سبحانه حتى بلَّغ الرسالة؛ لأن قبلها: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (المائدة)، فالمعنى: بلِّغ، والله يعصمك؛ حتى لا تضل في بلاغك. وهو – ﷺ – معصومٌ فيما بلَّغه عن الله بإجماع المسلمين، وليس معصومًا أنه لا يُصيبه مرضٌ، كل الأنبياء يمرضون، وليس معصومًا ما يتعدَّى عليه أحدٌ، قد أُوذي في أحدٍ، وجُرح في أحدٍ عليه الصلاة والسلام، وكُسرت البيضة على رأسه، وآذاه المشركون في مكة، لكن يعصمه حتى يُبلِّغ رسالة ربِّه، حتى لا يكتم منها شيئًا، حتى لا يُمنع من ذلك، وقد بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، وعصمه الله حتى بلَّغ الرسالة . وليس معنى يَعْصِمُكَ :لا يُؤذيك أحدٌ، ولا يتعدَّى عليك أحدٌ، ولا تمرض، لا، العصمة معناها ما بيَّنتها الآيةُ الكريمة؛ لأنها بعد قوله :يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ، فقد بلَّغ الرسالة، وعصمه من الناس، فلم يُقتل ولم يمت حتى بلَّغ الرسالة عليه الصلاة والسلام، وإن تعدَّى عليه الناسُ في مكة، وإن تعدّوا عليه في أُحدٍ، وإن تعدّوا عليه في غير ذلك، لكن الله عصمه حتى بلَّغ، وقد مرض ومات مريضًا عليه الصلاة والسلام، وقد آذاه المشركون، لم يُعصم منهم، وقد آذوه يوم أحد، وآذوه في مواضع كثيرة عليه الصلاة والسلام، وآذوا الرسل.[٨٨]

ومن أعظم الدلائل والبراهين على أن الله عصم نبيه – صلى الله عليه وسلم – حتى يبلغ رسالة ربه، آية التوديع التي بين فيها ربنا كمال الدين وتمام النعمة ببلاغ الرسالة، قال تعالى:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (المائدة: ٣). وبعدها انتشرت التوحيد، وأبطل الله دعوى التنديد، وكسر أنف كل جبار عنيد، وعمت دعوة الإسلام الجزيرة العربية بأسرها ودانت الأرض كلها لله من جديد، وتجددت معالم الملة الحنفية، ملة أبي الأنبياء – عليه السلام – التي أمر الله عباده باتباعها في كتابه المجيد.

المطلب الثاني: الإخبار عن تجمع الأحزاب وتحقق هزيمتهم

لما تحزَّب مشركو العرب من قريش وغطفان وبعض قبائل العرب ومعهم يهود بني قريظة، اجتمعوا وتحزبوا جميعًا لغزو المسلمين في عقر دارهم بالمدينة، ردَّ اللهُ كيدهم في نحورهم وكفى الله فيها المؤمنين القتال، ووعد سبحانه عباده المؤمنين بالنصر، ومع ذلك فقد تعرضوا لبلاء شديد، وتحقق إخبار الله عن تجمع الأحزاب، وكان مجيئهم في قوة تعدادها عشرة آلاف مقاتل، بينما كان تعداد جيش المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل فقط، وقد تحزَّبوا لحصار المسلمين وأرادوا مقاتلتهم واستئصال شأفتهم، وطال هذا الحصار لمدة شهر وأصاب المسلمين من الضيق والشدة والألواء الشيء الكثير، حتى قال المنافقون مقولتهم الشهيرة: ﴿ ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُرُورًا ﴾ (الاحزاب:١٢)

وفي ذلك الموقف المهيب الذي تشيب منه مفارقه الولدان جاء تحقيق وعد رب العالمين، نصرًا لعباده المؤمنين، وتثبيتًا لقلوبهم الموحدين، وإرغامًا لأنوف المنافقين، وهزيمة ساحقة لأحزاب الشيطان المخذولين، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا

---

[٨٨] الموقع الرسمي، لسماحة الشيخ ابن باز– رحمه الله –، فتاوى الدروس، معنى قوله تعالى: (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) (الأحزاب: ٢٢)

شبكة الألوكة www.alukah.net

الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بصيرا إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ (الاحزاب : ٩)

وفي وصف ذلك يقول رب العزة جل في علاه: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٢٢)

والمعنى:

قوله ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾

أي: ولَمَّا رأى المؤمِنونَ جُنودَ الكُفَّارِ الَّذين تحَزَّبوا وتألَّبوا عليهم في غَزوةِ الخَندَقِ؛ قالوا: هذا ما وعَدَنا اللهُ ورَسولُه مِنَ الابتِلاءِ وما يَعقُبُه مِن النَّصرِ وحُسنِ الجَزاءِ، وصَدَق اللهُ ورَسولُه في وَعْدِنا بذلك.[٨٩]

وقوله: ﴿ وَمَا زَادَهُمْ إِلا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾

أي: ولم يَزِدِ الصَّحابةَ ما رأَوا مِن اجتِماعِ الكُفَّارِ عليهم وما أصابَهم مِنَ البلاءِ في غَزوةِ الخَندَقِ إلَّا إيمانًا باللهِ ورَسولِه، وتَصديقًا بوَعدِه بالنَّصرِ، وانقيادًا لقَضائِه، وطاعةً لأمرِه وأمرِ رَسولِه.[٩٠]

---

[٨٩] يُنظر: تفسير الطبري: (٥٩/١٩)، مجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٤٦٠/٢٨)، تفسير ابن كثير: (٣٩١/٦، ٣٩٢)، نظم الدرر، للبقاعي: (٣٢٤/١٥، ٣٢٥)، تفسير ابن سعدي: (ص: ٦٦١)، تفسير ابن عاشور: (٣٠٤/٢١)، أضواء البيان، للشنقيطي (٢٣٤/٦).

[٩٠] – يُنظر: تفسير الطبري: (٥٩/١٩)، مجموع الفتاوى، لابن تيمية: (٤٦٠/٢٨)، تفسير ابن كثير: (٣٩٢/٦)، تفسير ابن سعدي: (ص: ٦٦١)، تفسير ابن عاشور: (٣٠٤/٢١)،

(ت)فسير ابن عثيمين – سورة الأحزاب:(ص: ١٧٠، ١٧١).

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الثالث: الإخبار عن تحقق وعد الله بنصر المؤمنين

وفي الإخبار عن تحقق هذا الوعد جاء قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ (آل عمران :١٢).

والمعنى:

في هذه الآية إخبار عن تحقق وعد الله بنصر المؤمنين، يأمر فيه ربنا تبارك وتعالى رسوله الكريم – صلى الله عليه وسلم – بإعلام الكفار وإخبارهم بوعد الله الذي لا يتخلف ولا يتأخر ولا يتبدل أبدًا بأنهم سيُغلَبون ويهزمون قتلًا وأسرًا وضرب للجزية، وبأن الله ناصر عباده المؤمنين عليهم في الدُّنيا لا محالة، وأما في الآخرة فإن مآلهم ومصيرهم إلى نارِ جهنَّمَ؛ وأن مهادها وفِراشها هم الذين مهدوه لأنفسهم بكفرهم وجحودهم ومحادتهم لله ولرسوله– صلى الله عليه وسلم –، فبئس ما مهدوا وبئس ما فرشوا وبئس المصير.

وقوله: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ ﴾ أي: قُلْ – يا محمَّدُ– للَّذين كفروا: ستُغلَبون من قِبَلِ المؤمنين في الدُّنيا. كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾ (المجادلة: ٢١) وكما قال: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ (غافر: ٥١). [٩١]

وفي قوله: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ ...﴾ دليلٌ على أنَّه لو رجَع المسلِمون إلى دِينهم حقًّا في العقيدةِ والقولِ والعملِ والأخلاقِ والآداب، وجميعِ أمور الدِّين، لحصَلَتْ لهم الغَلَبةُ على الكفَّار، ويَشهَدُ لهذا تاريخُ المسلِمينَ؛ حيث ملَكوا مشارقَ الأرضِ ومغاربَها. [٩٢]

المطلب الرابع: الإخبار عن تحقق وعد الله بالاستخلاف في الأرض للنبي– صلى الله عليه وسلم – وأصحابه ولعموم المؤمنين من أمته

قال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ (النور: ٥٥)

والمعنى:

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) **– رحمه الله –:**

"هذا وعْد من الله لرسوله – صلى الله عليه وسلم – بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، أي: أئمةَ الناس والولاةَ عليهم، وبهم تَصلُح البلاد، وتَخضع لهم العباد، ولَيُبدلَنَّ بعد خوفهم من الناس أمنًا وحُكْمًا فيهم، وقد فعَل – تبارك وتعالى – ذلك، وله الحمد والمنة، فإنه لم يَمت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى فتَح الله عليه مكة وخَيْبَرَ والبحرين، وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها.

ثم قال – رحمه الله:–

---

[٩١] ينظر: تفسير الطبري: (٢٤١/٥)، تفسير ابن كثير: (١٧/٢)، تفسير ابن عثيمين– سورة آل عمران:(٧٢/١).

[٩٢] تفسير ابن عثيمين– سورة آل عمران: (٧٥/١).

شبكة الألوكة www.alukah.net

"ولهذا ثبَت في الصحيح عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: (إن الله زَوَى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيبلُغ مُلْك أمتي ما زُوي لي منها) [٩٣] ، فها نحن نتقلَّب فيما وعَدنا الله ورسوله، وصدَق الله ورسوله، فنسأل الله الإيمان به، وبرسوله، والقيام بشكره على الوجه الذي يُرضيه عنا".[٩٤]

وقال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) **– رحمه الله –:**

"وقولُه: ﴿ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ (النور: ٥٥) يعني بني إسرائيل؛ إذ أهلَكَ الله الجبابرة بمصر، وأورَثَهم أرضهم وديارهم فقال: ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ﴾ (الأعراف: ١٣٧).

وهكذا كان الصحابة مُستضعَفين خائفين، ثم إن الله – تعالى – أمَّنهم ومكَّنهم وملَّكهم، فصَحَّ أن الآية عامة لأمة محمد – صلى الله عليه وسلم – غير مخصوصة؛ إذ التخصيص لا يكون إلا بخبر ممن يجب له التسليم، ومن الأصل المعلوم التمسك بالعموم .

وجاء في معنى تبديل خوْفهم بالأمن أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما قال أصحابه: أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح؟ فقال – عليه السلام–: (لا تلبثون إلا قليلاً حتى يجلس الرجلُ منكم في الملأ العظيم مُحتبيًا ليس عليه حديدة).[٩٥]

وقال – صلى الله عليه وسلم –: (...وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ).[٩٦]

فكان كما أخبَرَ – صلى الله عليه وسلم – فالآية معجزة النبوة؛ لأنها إخبار عما سيكون فكان".[٩٧]

الاستخلاف والتمكين

وقد اشتمل الوعد الإلهي لعباده المخلصين على ثلاثة أمور هي:

الأول: الاستخلاف في الأرض

والثاني: التمكين للدين

---

[٩٣] رواه مسلم: (٢٨٨٩).

[٩٤] تفسير ابن كثير: (١٠/٢٦٣:٢٦٤).

[٩٥] بعد بحث مضن لم يقف الباحث على أي مصدر للحديث سوى ما ذكره بعض أئمة التفسير دون عزو لأي مصدر من مصادر الحديث، فرواه الطبري بسنده في تفسيره، قال: أخبرنا القاسم حدثنا الحسين حدثني حجاج عن أبي جعفر عن أبي العالية موقوفًا، وكذلك هو في أسباب النزول للواحدي، وما أسنده الحاكم في المستدرك بنقص يسير فرواه من حديث الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب موقوفًا، وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وبهذا السند والمتن، رواه ابن مردويه في تفسيره، ويُنظر: تخريج الأحاديث والآثار، للزيلعي: (ت: ٧٦٢هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤١٤ هـ المطبعة: الرياض – دار ابن خزيمة الناشر: دار ابن خزيمة. الحديث الخامس والثلاثون: (٢/ ٤٧٧)

[٩٦] رواه البخاري: (٣٦١٢).

[٩٧] تفسير للقرطبي: سورة النور– آية: ٥٥.

شبكة الألوكة www.alukah.net

والثالث: تبديل أمنهم خوفًا.

وقد أكد الوعد بتحقق الاستخلاف في الأرض بعدة مؤكدات وهي:

القسم واللام والنون والسين والتاء في﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ﴾ ليدل على تحققه وثبوته، وهذا له أثره في إثارة دواعي الإيمان والعمل الصالح والعبادة الخالصة لله تعالى في نفوس المؤمنين، وفيه كذلك ترغيب وتحفيز للأمة بأسرها وولاة أمورها ليقوموا بواجبهم حتى يتحقق لهم وعد الله تعالى.

معنى الاستخلاف:

ومعنى الاستخلاف في قوله: ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ﴾ أي يجعلهم خلفاء عن الله في تدبير شؤون عباده، حيث يكونون قادة الأمم يحكمونها بشرع الله ومنهجه وحكمه. وتأمل دلالة حرف الظرفية (في) وما يوحي به من استقرار الاستخلاف وتمكنه وشموله معظم الأرض، ولذا قيد هذا الاستخلاف بقوله: في الأرض وكان من الممكن أن يأتي مطلقًا فيقال: ليستخلفنهم ولكنه قُيد بالجار والمجرور، والله أعلم.[٩٨]

وختامًا:

فببيان كلام أئمة التفسير وسادات التأويل والتحبير يتبيَّن حقيقة الإخبار عن تحقق وعد الله بالاستخلاف في الأرض للنبي- صلى الله عليه وسلم - وأصحابه- رضي الله عنهم -، ووقوعه وتحققه - كذلك - لكل من بذل شرط الله في الآية في هذه الأمة، كما كان كذلك في كل أمة ممن قبلنا من الأمم، وهذه هي سنة الله في خلقه، وتحقيق شرط الله إنما يكون بلزوم العبودية، ولزوم العبودية لا يتم إلا بنبذ الشرك وتحقيق التوحيد، ونبذ الفرقة والبدعة والاختلاف، والتمسك بالسنة ولزوم الجماعة، وشرط الله في الآية في قوله - سبحانه -: ﴿... يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا.... ﴾ ((النور: ٥٤)

المطلب الخامس: الإخبار عن تحقق وعد الله بعودة النبي لمكة بعد أن أخرجه قومه منها

يقول الله سبحانه وتعالى مخاطبًا رسوله الكريم – صلى الله عليه وسلم – ومطمئنًا له: ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ (القصص: ٨٥)

والمعنى:

﴿ لَرَادُّكَ ﴾: الردّ في اللغة صرف الشيء عن محلّه ورجعه، يقولون: ردّ فلان الأمر عن وجهه إذا صرفه، ومن معانيه كذلك الارتداد وهو الرجوع. [٩٩]

– عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ–(ت:٦٨هـ) – رضي الله عنهما –: ﴿ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ قالَ: إلى مَكَّةَ.[١٠٠]

---

[٩٨] الوعد الحق، من كنوز البلاغة القرآنية، صحيفة الخليج الإلكترونية، بتاريخ: ٢٠١٠/١/٧م.

[٩٩] يُنظر: "تعريف ومعنى الرد في معجم المعاني الجامع"، اطّلع عليه بتاريخ: ٢٠٣٠/٦/٤. بتصرّف.

[١٠٠] رواه البخاري: (٤٧٧٣).. وقال آخرون هو الموت، وهذا الوجه مرويّ عن كثير من السلف منهم سعيد بن جبير، وقال أبو سعيد الخدري: المعاد، الموت، وقال الحسن والزهري: هو يوم القيامة، وذهب جماعة آخرون إلى القول أنّ المقصود بالمعاد هو الجنّة، وبه قال الحسن

شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ : لمرجّعك إلى مكة البلد الحرام فاتحًا، وكان قد اشتاقها.[١٠١]

وفي قوله: ﴿ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ وعد من الله بنصرة نبيه– **صلى الله عليه وسلم** – وبإظهار دينه على الدين كله ولو كره الكافرون.

فقد رده الله عز وجل إلى مكة فاتحًا لها بعد ثمان سنوات، بعد أن خرج منها متخفيًا عن أعين الطلب من قريش، والتي رصدت في طلبه أنفس الأموال، ولكن هيهات هيهات فالله يسوس أمره ويدبّره ويحوطه بعنايته وحفظه كما هو شأن الله مع أوليائه، كما أخبر الله تعالى عن إحاطته وتدبيره لأمر يوسف الصديق –عليه السلام – في قوله – سبحانه –. ﴿..وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف: ٢١)

وقوله: ﴿ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ فيه إخبار صريح ظاهر في الآية بتحقيق وعد الله لذي لا يتخلف ولا يتأخر ولا يتبدل– بعوده إلى مكة رغم عدم وجود أي دلائل أو إرهاصات أو مقدمات ظاهرة تدل على تحقق ذلك الوعد فيما يبدو للناس.

أسباب فتح مكة:

لقد تجلت حكمة رسول الله –صلى الله عله وسلم– في عقده صلح الحديبية مع قريش، فقد رَجَا من ورائه تحقيق مكاسب لكل من الإسلام والمسلمين، بخلاف الصحابة الذين رفضوا الصلح لأنّ نظرتهم لذلك لم تكن بعيدة كنظرة النبي عليه الصلاة والسلام.[١٠٢]

نقض قريش للصلح:

جاء نقض الصلح بين المسلمين والمشركين، إذ قامت قبيلة بني بكر باستغلال اشتغال المسلمين بالسرايا، واعتدت على قبيلة خزاعة المحالفة لرسول الله –صلى الله عله وسلم– بمعاونة قريش لها، فقامت قريش بتدبير الاعتداء ليلًا وفي الظلام، لئلا يعرف بهم رسول الله –صلى الله عله وسلم– وقتلوا ثلاثةً وعشرين شخصًا من بني خزاعة، ففرت خزاعة للحرم واحتمت به، فأوصل عمرو بن سالم الخزاعي الخبر لرسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– يستنجد به. [١٠٣]

ولما قدم عمرو بن سالم الخزاعي إلى رسول الله– صلى الله عليه وسلم – بالمدينة يخبره بغدر قريش وإخلافهم العهد أنشد أبياتًا من الشعر أمامه – صلى الله عليه وسلم – يستنصره، فقال:

يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدٌ مُحَمَّدًا *** حِلْفَ أَبِينَا وَأَبِيهِ الْأَتْلَدَا

قَدْ كُنْتُمْ وُلْدًا وَكُنَّا وَالِدَا *** ثُمَّتَ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا

البصريّ، وعن ابن صالح، الجنة، والذي اعتمده المفسرون هو قول ابن عباس، وإنما أطلق (المعاد) على (مكة) لأن العرب كانت تعود إليها في كل سنة، لمكانة البيت فيها؛ فالمعاد اسم مكان من (العود).

(١٠١) يُنظر: معنى مَعَادٍ في القرآن الكريم، معجم المعاني.

(١٠٢) راغب السرجاني، السيرة النبوية: (ص: ١).

(١٠٣) أحمد غلوش، السيرة النبوية في العهد النبوي: (ص: ٥٧١). بتصرّف.

شبكة الألوكة www.alukah.net

فَانْصُرْ هَدَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَعْتَدَا *** وَادْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا

فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا *** إِنْ سِيمَ خَسْفًا وَجْهُهُ تَرَبَّدَا

فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزْبِدًا *** إِنَّ قُرَيْشًا أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِدَا

وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ المؤكدات *** وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَاءٍ رُصَّدَا

وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا *** وَهُمْ أَذَلُّ وَأَقَلُّ عَدَدَا

هُمْ بَيَّتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجَّدًا *** وَقَتَلُونَا رُكَّعًا وَسُجَّدَا

فيروى أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قال له: "نصرت يا عمرو بن سالم". [١٠٤])

وفي هذا إعلان صريح من قريش على نقضهم للصلح، فما كان من رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلا اتخاذ القرار بالسير لفتح مكة. [١٠٥]

تحقق وعد الله:

وعاد النبي– صلى الله عليه وسلم – مع إلى مكة فاتحًا عزيزًا في جيش قوامه قرابة عشرة آلا ف مقاتل من جند الإيمان وعسكر التوحيد وحزب الرحمن، وذلك بعد أن خرج منها مع صاحبه وحيدًا فريدًا يطارده قومُه، فدخل مكة في تواضع العظماء معظمًا للبيت وحرمته وردَّ للحرم قدسيته وأمنه وضمه تحت راية وولاية الاسلام والمسلمين دون إراقة دماء ولا انتقام ممن أخرجوه منه مكرها.

من مشاهد تواضع العظماء عام الفتح:

المشهد الأول: مَن دخل دارَ أبي سفيانَ؛ فهو آمِنٌ

أبو سفيان زعيم قريش وسيدها المطاع يحب الفخر فأراد النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – منحه منقبة يستميل بها قلبه للثبات على الإسلام **فقال – صلّى الله عليه وسلّم–**: (مَن دخل دارَ أبي سفيانَ؛ فهو آمِنٌ، ومن أغلق بابَه؛ فهو آمِنٌ، ومن دخل المسجدَ؛ فهو آمِنٌ. فلما ذهب – العباس– لِينصرفَ؛ قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم: يا عباسُ! احبِسْه بمضيقِ الوادي عند خطْمِ الجبلِ، حتى تمرَّ به جنودُ اللهِ فيراها). [١٠٦]

المشهد الثاني: الطواف بالبيت وتحطيم الأصنام

لما كانت تلك الدعوة الوليدة في مكة مبناها على نبذ الشرك وتحقيق التوحيد اتباعًا للملة الحنيفية السمحة، كان من أول مهمات النبي الفاتح – صلى الله عليه وسلم– هي تحقيق هذا الهدف الأسمى والمطلب الأسنى.

---

[١٠٤] والحديث ضعيف الراوي: ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين: يُنظر: فقه السيرة، للغزالي، بتخريج وتحقيق الألباني: (٣٧٣).

[١٠٥] راغب السرجاني، السيرة النبوية: (ص: ١).

[١٠٦] صححه الألباني، في السلسلة الصحيحة: (٣٣٤١)، وفي صحيح أبي داود: (٣٠٢١).

شبكة الألوكة www.alukah.net

– فكان – أوّل أمر فعله النبيّ بالبيت هو الطواف به، وتحطيم الأصنام.[١٠٧] فقد (دَخَلَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مَكَّةَ، وحَوْلَ البَيْتِ سِتُّونَ وثَلَاثُ مِئَةِ نُصُبٍ، فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بعُودٍ في يَدِهِ، ويقولُ: ﴿ جَاءَ الحَقُّ وزَهَقَ البَاطِلُ، إنَّ البَاطِلَ كانَ زَهُوقًا ﴾ (الإسراء: ٨١)، ﴿ جَاءَ الحَقُّ وما يُبْدِئُ البَاطِلُ وما يُعِيدُ ﴾ (سبأ ٤٩).[١٠٨])

المشهد الثالث: أعظم بيان عرفه التاريخ في حرمة مكة وجاءت بعدها خطبته – صلى الله عليه وسلم– في الناس غداة الفتح، حيث افتتحها بحمد الله والثناء عليه – سبحانه –، ثمّ قال:

(إنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ ولَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فلا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ أنْ يَسْفِكَ بهَا دَمًا، ولَا يَعْضُدَ بهَا شَجَرَةً، فإنْ أحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقُولوا له: إنَّ اللَّهَ أذِنَ لِرَسولِهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ولَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وإنَّما أذِنَ لي سَاعَةً مِن نَهَارٍ، وقدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا اليومَ كَحُرْمَتِهَا بالأمْسِ، ولْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ).[١٠٩] [١١٠]

المشهد الرابع: المبايعة على الإسلام

وبعد أن طهّر الرسول البيت من الصُّوَر التي كانوا ينسبونها إلى إبراهيم وإسماعيل، وأزال الأزلام، ثمّ صعد بلال بن رباح مُعتلِيًا الكعبة يُؤذّن بالناس، بدأ الناس يُبايعون رسول الله على الإسلام.[١١١]

المشهد الخامس: سمو أخلاق الفاتحين

كان لفتح مكّة الأثر البالغ؛ ففيه الرسول الداعية الحقّ إلى دين الله، صاحب الأخلاق السامية، والمتسامِحة؛ فقد صفح عن حاطب بن أبي بلتعة، وصفح عن أهل قريش، إلى جانب تواضُعه حينما دخل مكّة؛ حيث كان حانيَ الرأس متواضعًا لله لما رأى النصر العظيم، حتى أنّ لحيته كادت أن تصل إلى ظهر دابّته التي يركبها، [١١٢] فبعد إحدى وعشرين سنة من العداء بينه وبين أهل مكّة ها هو يعفو عنهم، لينطلق الإسلام إلى الدنيا على يد العرب الذين حملوا الرسالة إلى العالَمين بعد الفتح. [١١٣]

---

[١٠٧] عبد الرحمن بن سعيد بن علي بن وهف القحطاني، غزوة فتح مكة في ضوء السنة المطهرة (الطبعة الأولى)، الرياض: السفير: (١/١٢٦-١٢٧). بتصرّف.

[١٠٨] رواه البخاري: (٤٧٢٠).

[١٠٩] رواه البخاري: (١٨٣٢).

[١١٠] يُنظر: حمد بن عمر بن مبارك (١٤١٩)، حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار (الطبعة الأولى)، جدة–السعودية: دار المنهاج: (ص: ٣٥٢-٣٥٣). بتصرّف.

[١١١] يُنظر: محمد الغزالي (١٤٢٧هـ)، فقه السيرة (الطبعة الأولى)، دمشق: دار القلم: (ص: ٣٨٣-٣٨٨). بتصرّف.

[١١٢] إيهاب كمال أحمد، "التواضع والعفو والتسامح في فتح مكة"، الألوكة، اطّلع عليه بتاريخ: ٢٠١٩/١٢/٣٠م. بتصرّف.

[١١٣] مصطفى السباعي (١٩٨٥)، السيرة النبوية دروس وعبر (الطبعة الثامنة)، بيروت: المكتب الإسلامي: (ص: ١٢٦– ١٢٧). بتصرّف. السيرة النبوية – دروس وعبر المؤلف: مصطفى بن حسني السباعي (المتوفى: ١٣٨٤هـ) الناشر: المكتب الإسلامي الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م عدد الأجزاء: ١.

شبكة الألوكة www.alukah.net

المشهد السادس: تحقق أعظم البشريات في نتائج فتح مكّة

كان لفتح مكة نتائج عظيمة مباركة ولعل من أبرزها ما يلي:[١١٤]

أولًا: انهاء زمن عبادة الأصنام والشِّرك، وانطلاق التوحيد فيها.

ثانيًا: رفع ظلم المشركين عن المضطهَدين من أهل مكّة، وإعادة الحقوق إلى أصحابها.

ثالثًا: دخول الناس في دين الله أفواجًا دون خوف من قريش، كما قال -تعالى-:

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ (النصر: ١-٣)

رابعًا: إعلاء مكانة الإسلام في قلوب العرب وغيرهم.

خامسًا: تثبيت قلوب المؤمنين، ودخولهم البيت بالوعد الإلهيّ؛ وذلك تحقيقاً للآية الكريمة: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (الفتح: ٢٧)

وإن تحقق هذا الوعد من الله يُعد من دلائل الإعجاز في الإخبار عن المغَيَّبَاتِ التي أخبر فيها عن المستقبل بصورة واضحة المعالم، وبدون اي مقدمات أو دلائل ظاهرة، رغم الاستضعاف للمؤمنين وخروجهم من مكة إلى الحبشة مهاجرين، هجرة تلو الهجرة، ثم خروجهم مستضعفين مهاجرين إلى المدينة مختفين مع قل في العدد وانعدام في العدة والعتاد، ولكنه وعد الله الذي لا يتخلف كما قال - سبحانه-: ﴿ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ((الروم: ٦)

ولا شك أن تحقيق وعد الله براده إلى مكة كما وعده - سبحانه - من أكبر الدلائل على صحة وصدق نبوته- صلى الله عليه وسلم-.

---

[١١٤] نفس المرجع السابق.

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب السادس: الإخبار عن تحقق وعد الله بنصرة المهاجرين – خاصة –

لقد تحقق وعد الله سبحانه وتعالى للمهاجرين فِي سبيل اللَّهِ، المستضعفين في دينهم، والذين أَخْرَجَهُمْ الكفار مِنْ دِيَارهمْ بغير حق حَتَّى لَحِقَ طَوَائِف مِنْهُمْ بِالْحَبَشَةِ مهاجرين إليها وفارّين بدينهم مرتين، ثُمَّ بَوَّأَهُمْ اللَّه بعد ذلك طيبة الطيبة، ثم جَعَلَهَا لَهُمْ دَار هِجْرَة، وَجَعَلَ لَهُمْ أَنْصَارًا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ معينين لهم على أمر الدنيا والدين من إخوانهم الأنصار فشاطروهم الأموال والزروع والضيعات، وقد جاء وعد الله الذي لا يتخلف في ذلك في سورة النحل المكية في قوله سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (النحل: ٤١).

أبرز ما قيل في سبب نزولها:

أ– قيل: سببُ نزولها المهاجرونَ إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، وهي عامَّةٌ في كلِّ من اتَّصفَ بهذه الصِّفةِ.[١١٥]

ب– قال ابن عبَّاسٍ، والشَّعبيُّ، وقتادةُ: المدينةُ. وقيل: الرِّزقُ الطَّيِّبُ، قاله مجاهِدٌ. ولا مُنافاةَ بينَ القولين.[١١٦]

ج– وقيل: يحتملُ أن يكونَ سببُ نزول هذه الآية الكريمة في مُهاجِرةِ الحبشةِ الذين اشتَدَّ أذى قومِهم لهم بمكَّةَ، حتى خرجوا من بين أظهُرِهم إلى بلادِ الحبشةِ؛ ليتمكَّنوا مِن عبادةِ ربِّهم.[١١٧]

د– وقيل: نزلت في أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم–، بمكة : بلال، وصُهَيب، وخَبَّاب، وعمّار، و(أبي) جَنْدَل بن سُهَيل، أخذهم المشركون بمكة فعذّبوهم وآذوهم، فبوَّأهم الله تعالى المدينة بعد ذلك.[١١٨]

هـ – وقيل: ولا مانعَ من حملِ الآيةِ على جميعِ هذه الأمورِ. [١١٩]

والمعنى:

قوله: ﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ (أي: لَنُسكِنَنَّهم ولَنُنزِلَنَّهم؛ مِن التبَوُّءِ: وهو الحُلولُ بالمكانِ، والنُّزولُ به، وأصلُ (بوأ): يدلُّ على الرُّجوعِ إلى الشَّيءِ.[١٢٠]

---

[١١٥] مجموع الفتاوى: (٣٢٦/٨).

[١١٦] تفسير ابن كثير: (٥٧٢/٤).

[١١٧] تفسير ابن كثير: (٥٧٢/٤). ويُنظر: تفسير ابن الجوزي: (٥٦٠/٢).

[١١٨] أسباب النزول، للواحدي: (٢٨٥/١). أسباب نزول القرآن المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح – الدمام الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

[١١٩] تفسير الشوكاني: (١٩٦/٣).

[١٢٠] يُنظر: غريب القرآن، لابن قتيبة: (ص: ٣٣٨) غريب القرآن المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) المحقق: أحمد صقر الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية) السنة: ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م. ، تفسير الطبري: (٢٢٤/١٤)، مقاييس اللغة، لابن فارس (٣١٢/١)، تذكرة الأريب، لابن الجوزي: (ص: ٢٨٩)، تفسير ابن كثير: (٢٩٢/٦).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقوله: ﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾

أي: بلدةً أو دارًا حسنةً، وهي المدينةُ، في قولِ ابنِ عباسٍ، والحسنِ، ومجاهدٍ، وقتادةَ، والأكثرينَ.[١٢١] .

قال الطبري (ت: ٣١٠هـ) **– رحمه الله –:**

حَدَّثَنَا بِشْر، قَالَ : ثنا يَزِيد، قَالَ: ثنا سَعِيد، عَنْ قَتَادَة في **وقوله:** ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾

قَالَ: هَؤُلَاءِ أَصْحَاب مُحَمَّد ظَلَمَهُمْ أَهْل مَكَّة ، فَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ دِيَارهمْ حَتَّى لَحِقَ طَوَائِف مِنْهُمْ بِالْحَبَشَةِ ، ثُمَّ بَوَّأَهُمْ اللَّه الْمَدِينَة بَعْد ذَلِكَ فَجَعَلَهَا لَهُمْ دَار هِجْرَة، وَجَعَلَ لَهُمْ أَنْصَارًا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ. فلك اللهم ربنا الحمد على هذه المواعيد الصادقة.[١٢٢]

وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾

أي: والذين تَرَكوا أوطانَهم وقومَهم؛ ابتغاءَ مرضاةِ اللهِ مِن بعدِ ما ظَلَمَهم الكُفَّارُ وعَذَّبوهم لِيَرُدُّوهم عن دينِهم- لَنُسكِنَنَّهم في الدُّنيا بلدًا يَرضَوْنَها، ولَنَرزُقَنَّهم رِزقًا واسعًا، وعيشًا هنيئًا، ولنجازينَّهم جزاءً حَسَنًا.[١٢٣] .

وقوله: ﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾

فإنَّهم تَرَكوا مساكِنَهم وأموالَهم، فعوَّضَهم اللهُ خيرًا منها في الدُّنيا، فإنَّ من ترك شيئًا لله عوَّضه الله بما هو خيرٌ له منه، وكذلك وقَعَ؛ فإنَّهم مكَّن اللهُ لهم في البلادِ، وحكَّمَهم على رقابِ العِبادِ، فصاروا أمراءَ حُكَّامًا، وكلٌّ منهم للمُتَّقين إمامًا.[١٢٤]

---

[١٢١] تفسير الرسعني: (٣١/٤).

[١٢٢] تفسير الطبري: (٢٠٥/١٦-٢٠٦).

[١٢٣] يُنظر: تفسير الطبري: (٢٢٣/١٤)، تفسير القرطبي: (١٠٧/١٠)، تفسير ابن كثير: (٥٧٢/٤)، تفسير ابن سعدي: (ص: ٤٤١)، تفسير ابن عاشور: (١٥٧/١٤، ١٥٨).

[١٢٤] يُنظر: تفسير ابن كثير: (٥٧٢/٤).

شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الرابع

الإخبار عن الأمور الغيبية التي تتعلق بغُيُوبٍ مستقبلِيَّة

وفيه مباحث:

المبحث الأول: انتصار الروم على الفرس

وفيه مطلبان:

لقد تضمَّن القرآن بعض الغُيُوب المستقبلية، وأنبأ عنها، ومعنى ذلك:

أي: إن القرآن معجز بتضمنه بعض أخبار الغيب المستقبلي، وهذا لا يقدر عليه إلا الله ولا يستطيعه البشر، ولا سبيل لهم إليه، ومن ذلك وعد الله لنبيه صلوات الله وسلامه عليه بإظهار دينه على كل الأديان، وذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة:٣٣). وقد تحقق كثير من هذا الوعد في عهد الخلفاء الراشدين – رضي الله عنهم – وفي العهود اللاحقة.[١٢٥]

المطلب الأول: الإخبار عن انتصار الروم على الفرس بعد هزيمتهم من قبَلهم أول الأمر

قال تعالى: ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ.... ﴾ (الروم: ٢– ٤) إلى قوله سبحانه: ﴿ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم: ٦).

والمعنى:

وقوله: ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ﴾

وإسناد الفعل إلى المجهول[١٢٦] ، لأن الغرض هو الحديث على المغلوب لا على الغالب، ولأنه قد عرف أن الذين غَلَبُوا الرومَ هم الفرسُ.[١٢٧]

وقوله: ﴿ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ﴾

أي: أن الهزيمة وقعت في ﴿ أَدْنَى ﴾ أي أقرب الأرض إلى الجزيرة العربية، وكانت المعركة في شمال الجزيرة العربية مع أطراف الشام.[١٢٨]

وقولِ اللَّهِ تعالى: ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ﴾

قالَ: (غُلِبَت وغَلَبت) كانَ المشرِكونَ يحبُّونَ أن يظْهرَ أَهلُ فارسَ على الرُّومِ لأنَّهم وإيَّاهم أَهلُ الأوثانِ وَكانَ المسلمونَ يحبُّونَ أن يظْهرَ الرُّومُ على فارسَ لأنَّهم أَهلُ الكتابِ فذَكروهُ لأبي بَكرٍ فذَكرَهُ أبو بَكرٍ لرسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ فقالَ أما إنَّهم سيَغلِبونَ فذَكرَهُ أبو بَكرٍ لَهم فقالوا اجعل بينَنا وبينَكَ أجلًا فإن ظَهرنا كانَ لنا كذا وَكذا وإن ظَهرتُم

---

(١٢٥) يُنظر: إعجاز القرآن، للباقلاني ، ص / ٦٢ وما بعدها.

(١٢٦) الأصل أن يُقال إلى ما لم يسم فاعله، بدلًا عن قوله: (إلى المجهول). الباحث.

(١٢٧) تفسير ابن عاشور: (٤٢/٨)

(١٢٨) تفسير القاسمي: (٤/٨).

شبكة الألوكة www.alukah.net

كانَ لَكم كذا وَكذا فجعلَ أجلًا خمسَ سنينَ فلم يظْهَروا فذَكروا ذلِكَ للنَّبيِّ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ فقالَ ألا جعلتَهُ إلى دونَ – قالَ أراهُ العشرَ قال قالَ سعيدٌ والبِضعُ ما دونَ العشرِ– قالَ ثمَّ ظَهرتِ الرُّومُ بعدُ. قالَ فذلِكَ قولُهُ تعالى: ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾ إلى **قولِهِ**: ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ ﴾

قالَ سفيانُ: سمعتُ أنَّهم ظَهروا عليْهم يومَ بدرٍ.(١٢٩)

وكلمة: " بِضع " في اللغة تدل على ما بين ثلاث وتسع، وقد جاء انتصار الروم على الفرس بعد سبع سنين من نزول الآية.

﴿ وَهُم ﴾ أي الروم. ﴿ مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ ﴾ أي هزيمتهم.﴿ سَيَغْلِبُون ﴾ أي: سينتصرون على الفرس.

﴿ فِي بِضْعِ سِنِينَ ﴾ أي: أن ذلك الانتصار سيتحقق في بضع سنوات.

والبِضع: "كناية عن عدد قليل لا يتجاوز العشرة.(١٣٠)

وقوله: ﴿ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾

أي: هذا الذي أخبرناك به – يا محمد – مِن أنا سننصر الروم على فارس وعد من الله حق، وخَبَر صدق لا يُخلف، ولا بد من كونه ووقوعه.(١٣١)

وهذا من الأمور الغيبية التي أخبر بها الله قبل وقوعها ووجدت في زمان من أخبرهم الله بها من المسلمين والمشركين، ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ أن ما وعد الله به حق فلذلك يوجد فريق منهم يكذبون بوعد الله، ويكذبون آياته. (١٣٢)

المطلب الثاني: سبب فرح المؤمنين بانتصار الروم على الفرس

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ ﴾

لما كانَ يومُ بدرٍ ظَهرتِ الرُّومُ على فارِسَ فأعجَبَ ذلِكَ المؤمنينَ فنزلت

﴿ الم غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾ – إلى قولِهِ – ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ ﴾ قالَ: ففرحَ المؤمنونَ بظُهورِ الرُّومِ على فارِسَ.(١٣٣)

ومن أهم أسباب فرح المؤمنين ما يلي:

أولاً :بانتصار الروم على الفرس، لأن الروم كانوا أهل كتاب، والفرس كانوا أهل وثنية، فالروم أقرب إلى المسلمين من الفرس من هذه الناحية.

---

(١٢٩) صحيح الترمذي: (٣١٩٣). وقيل: في يوم الحديبية.

(١٣٠) تفسير ابن عاشور: (٤٤/٨).

(١٣١) تفسير ابن كثير: (٦ / ٣٠٥).

(١٣٢) تفسير ابن سعدي: (ص: ٦٣٦).

(١٣٣) صحيح الترمذي: (٣١٩٢). خلاصة حكم المحدث:صحيح (لغيره).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وهذا الفرح هو في مقابلة فرح مشركي قريش حين انتصر الفرس على الروم أولاً ، لنفس السبب.

ثانيًا: أن انتصار الروم هو انتصار للنبي – صلى الله عليه وسلم –، لأنه دليل على صدق نبوته، إذ أخبر عن شيء مستقبل، ووقع كما أخبر به، فقد انتصر الروم على الفرس بعد أقل من عشر سنوات.

ثالثًا: قيل: إن سبب فرح المؤمنين إنما كان بانتصارهم هم على مشركي قريش، الذي وافق انتصار الروم على الفرس، إما في يوم بدر، وإما في يوم الحديبية، وهو ما **اختاره ابن القيم** (ت: ٧٥١هـ) **– رحمه الله– حيث يقول:**

" وَهَذِه الْغَلَبَة من الرّوم لفارس كَانَت عَام الْحُدَيْبِيَة بِلَا شكّ، وَمن قَالَ: كَانَت عَام وقْعَة بدر فقد وهم، لما ثَبت فِي صَحِيح البُخَارِيّ عَن ابْن عَبَّاس عَن أبي سُفْيَان أَن هِرقل لما أظهره الله على فَارس، مَشى من حمص إِلَى إيلياء شكرًا لله، فوافاه كتاب رَسُول الله – صلى الله عَلَيْهِ وَسلم – وَهُوَ بإيلياء، فَطلب من هُنَاكَ من الْعَرَب فجِئ بِأبي سُفْيَان صَخْر بن حَرْب فَقَالَ لَهُ: إِنِّي سَائِلك عَن هَذَا الرجل... فَذكر الحَدِيث وَفِيه فَقَالَ: هَل يغدر؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَان: لَا، وَنحن الْآن فِي أَمَان مِنْهُ فِي مُدَّة مَا نَدْرِي مَا هُوَ صانع فِيهَا. يُرِيد أَبُو سُفْيَان بالمدة صلح الْحُدَيْبِيَة، وَكَانَ فِي ذِي الْقعدَة سنة سِتّ بِلَا شكّ ".[١٣٤]

وقال ابن عطية (ت:٥٤٢هـ) **– رحمه الله –:**

" والنصر الذي يَفْرَحُ به الْمُؤْمِنُونَ: يحتمل أن يشار فيه إلى نصر الروم على الفرس.. ويحتمل أن يشار فيه إلى نصر يخص المؤمنين على عدوهم، وهذا أيضًا غيب، أخبر به، وأخرجه للوجود، إما يوم بدر، وإما يوم بيعة الرضوان، ويحتمل أن يشار به إلى فرح المسلمين بنصر الله إياهم: في أن صدق ما قال نبيهم، من أن الروم ستغلب فارس، فإن هذا ضرب من النصر عظيم ".[١٣٥]

وقال الشوكاني (ت:١٢٥٠هـ) **– رحمه الله –:**

قال أهل التفسير: غَلبت فارسُ الرومَ، ففرح بذلك كفارُ مكة وقالوا: الذين ليس لهم كتاب غلبوا الذين لهم كتاب، وافتخروا على المسلمين، وقالوا: نحن أيضًا نغلبكم كما غَلبت فارسُ الرومَ، وكان المسلمون يحبُّون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب... وهم من بعد غلبهم سيغلبون أي: والروم من بعد غَلب فارس إياهم سيغلبون أهلَ فارس...

قال الزَجَّاج(ت:٣١١هـ) **– رحمه الله –:**

وهذه الآية من الآيات التي تدل على أن القرآن من عند الله؛ لأنه إنباء بما سيكون، وهذا لا يعلمه إلا الله سبحانه.[١٣٦]

---

[١٣٤] الفروسية، لابن القيم: (٢٠٨/١).

[١٣٥] المحرر الوجيز، لابن عطية: (٣٢٨/٤). تفسير ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ، ويُنظر: الإسلام سؤال وجواب: تاريخ النشر: ٢٠١٥/٢/٣م.

[١٣٦] فتح القدير: (٤ / ٢١٤).

شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثاني: وقوع غزوة بدر وانتصار المسلمين فيها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإخبار عن وقوع غزوة بدر وانتصار المسلمين فيها، وتحقق ذلك النصر

أولًا: الإخبار عن وقوع غزوة بدر

كان وقوع غَزوةُ بَدْرٍ الكُبرَى في السَّنةِ الثَّانيةِ مِن الهِجرةِ، وهي أوَّلُ المعارَكةِ التي خاضها النَّبيّ - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - مع كفار قريش، وكانَتْ معركة فاصِلةً بيْن الحق والباطل؛ ولذلك سَمَّاها اللهُ تعالَى في كتاب يَومَ الفُرقانِ.

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ (الأنفال: ٧).

والمعنى:

قوله: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾

واذكُرُوا- أيُّها المؤمنونَ- حين أوحَى اللهُ إلى رسولِه يعِدُه الظَّفَرَ بغنيمةِ إحدى الفِرقَتينِ؛ إمَّا العيرِ أو النَّفيرِ.(١٣٧)

وقوله: ﴿ ذَاتِ الشَّوْكَةِ ﴾ أي: ذاتِ الحَدِّ والسِّلاحِ؛ مِن السَّيفِ والسِّنانِ والنِّصالِ، واشتقاقُها مِن الشَّوكِ: وهو النَّبتُ الذي له حِدَّةٌ، وأصلُ (شوك): يدلُّ على خُشونةٍ، وحِدَّةِ طَرَفٍ في الشَّيءِ.(١٣٨)

وقوله: ﴿ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ﴾

أي: ويُريدُ اللهُ تعالى أن يجمَعَ بينَكم وبينَ الطَّائفةِ الأُخرَى ذاتِ الشَّوكةِ؛ ليُظفِرَكم بهم، فيُظهِرَ دينَ الإسلامِ، ويُعلِيَه على الأديانِ كلِّها، وذلك بأمْرِه لكم- أيُّها المؤمنونَ- بقِتالِ تلك الطَّائفةِ مِن كُفَّارِ قُريشٍ.(١٣٩)

وقوله: ﴿ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾

أي: ويريدُ أن يستأصِلَ الكُفَّار، ويُهلِكَهم عن آخِرِهم، فلا يبقَى منهم أحدٌ. (١٤٠)

وقوله: ﴿ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾

---

(١٣٧) يُنظر: تفسير الطبري: (٤٠/١١)، التفسير الوسيط، للواحدي: (٤٤٥/٢)، تفسير ابن كثير: (١٥/٤)، تفسير ابن سعدي: (ص: ٣١٦). قال الشِّنقيطي: (المرادُ بالطَّائِفَتينِ هنا - كما أطبَقَ عليه عامَّةُ المفَسِّرين- هما العِيرُ والنَّفيرُ؛ العِير: الإبِلُ تَحمِلُ المتاعَ، والنَّفيرُ: الجيشُ في سِلاحِه وعَدَدِه وعُدَدِه). العذب النمير: (٤٨٩/٤).

(١٣٨) يُنظر: غريب القرآن، لابن قتيبة: (ص: ١٧٧)، تفسير الطبري: (٤٧/١١)، مقاييس اللغة، لابن فارس: (٢٢٩/٣)، المفردات، للراغب: (ص: ٤٧٠)، تذكرة الأريب، لابن الجوزي: (ص: ١٢٥)، التبيان، لابن الهائم: (ص: ٢١٦).

(١٣٩) يُنظر: تفسير الطبري: (٤٩/١١)، التفسير الوسيط، للواحدي: (٤٤٥/٢)، تفسير ابن كثير: (١٦/٤-١٧)، تفسير ابن سعدي: (ص: ٣١٦)، العذب النمير، للشنقيطي: (٥٢٥/٤).

(١٤٠) يُنظر: نفس المرجع السابق، العذب النمير، للشنقيطي: (٥٢٧/٤-٥٢٨).

شبكة الألوكة www.alukah.net

أي: يجْتَثَّ أصْلَهم، ويستأصِلَهم عن آخِرِهم، وقطْعُ دابرِ الإنسان: هو إفناءُ نوعِه، ودابِرُ القومِ: آخرُهم، وأصلُ (قطع): يدلُّ على إبانةِ شَيءٍ مِن شَيءٍ، وأصلُ (دبر): آخِرُ الشَّيءِ وخَلْفُه.[١٤١]

وقوله: ﴿ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ **تعليله قوله:** ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (الأنفال: ٨)

أي: ويريدُ اللهُ تعالى قَطعَ دابِرِ الكافِرينَ؛ مِن أجلِ أن يُعِزَّ الإسلامَ، ويُظهِرَه ويُعليَ شَأنَه، ويُبطِلَ عبادةَ غيرِ الله، فيزول الشركُ، ولا تبقَى إلَّا عبادةُ اللهِ تعالى وَحدَه، ولو كَرِه ذلك المشركونَ الذين أجرَموا، فاكتَسَبوا المآثِمَ والأوزارَ، التي يستحقُّونَ عليها العقابَ، وحُلولَ العَذابِ.[١٤٢] .

وقال ابن الجوزي(ت:٥٩٧هـ) – رحمه الله–:

والمعنى: اذكروا إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين، والطائفتان: أبو سفيان وما معه من المال، وأبو جهل ومن معه من قريش، فلما سبق أبو سفيان بما معه كتب إلى قريش إن كنتم خرجتم لتحرزوا ركائبكم فقد أحرزتها لكم، فقال أبو جه : والله لا نرجع، وسار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يريد القوم فكره أصحابه ذلك، وودوا أن لو نالوا الطائفة التي فيها الغنيمة دون القتال، فذلك قوله وتودون أن غير ذات الشوكة أي: ذات السلاح[١٤٣] .

ثانيًا: الإخبار عن انتصار المسلمين في غزوة بدر وتحقق ذلك النصر

وفي الإخبار عن انتصار المسلمين في غزوة بدر وتحقق ذلك النصر **يقول الله تعالى:** ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ (القمر:٤٥).

سبب نزولها:

نزلت تلك الآية في مكة في شأن كفار قريش، وقد أخبر الله تعالى فيها بأمر غيبي مستقبلي، وأعلم فيها نبيه محمدًا – صلى الله عليه وسلم – بهزيمة قريش ووعده بالانتصار عليهم، وهذه الآية من أعظم دلائل إعجاز القرآن في إخباره عن المغَيَّبات التي وقعت في زمن الرسالة، كما أنها من أعظم دلائل النبوة – كذلك –، وكان نزولها في مكة قبل الهجرة حيث تمكن كفار قريش وقتها من النيل من المستضعفين من المؤمنين، ولم يكن للمؤمنين شوكة ولا شكيمة، كما لم يكن هناك جهاد ولا قتال ولا نزال.

وجماهير المفسرين على أن سورة القمر كلها مكية:

وقد حكى بعضهم الإجماع على ذلك، ومن أبرز من حكاه، ابنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ، وابْنُ الجَوْزِيّ، والشَّوْكَانِيُّ، والطاهر

---

[١٤١] يُنظر: غريب القرآن، لابن قتيبة: (ص: ١٥٤)، مقاييس اللغة، لابن فارس: (٣٢٤/٢) و(١٠١/٥)، المفردات، للراغب: (ص: ٦٧٧ – ٦٧٨)، التبيان، لابن الهائم: (ص: ٢١٧).

[١٤٢] تفسير الطبري: (٤٩/١١)، التفسير الوسيط، للواحدي: (٤٤٥/٢)، تفسير ابن سعدي: (ص: ٣١٦)، العذب النمير، للشنقيطي: (٥٢٨/٤-٥٢٩).

[١٤٣] زاد المسير: (٣ / ٣٢٤).

شبكة الألوكة www.alukah.net

بْنُ عَاشُورٍ– رحمهم الله–:

قالَ ابنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٢هـ) **– رحمه الله–:**

وهي مكية بإجماع إلا آية واحدة اختلف فيها، فقال جمهور الناس هي مكية.[١٤٤]

وقَالَ ابْنُ الجَوْزِيّ (ت: ٥٩٧هـ) **– رحمه الله–:** وهي مكية بإجماعهم.[١٤٥] أي: المفسرين.

وقالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ) **– رحمه الله–:** وهي مكّيّةٌ كلّها في قول الجمهور.[١٤٦]

وقالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ) **– رحمه الله–:**

وهي مكّيّةٌ كلّها عند الجمهور، وعن مقاتلٍ أنّه استثنى منها قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ إلى قوله ﴿ وأمرّ ﴾ (القمر: ٤٤– ٤٦)، قال: نزل[١٤٧] يوم بدرٍ، ولعلّ ذلك من أنّ النّبي – صلى الله عليه وسلم – تلا هذه الآية يوم بدرٍ.[١٤٨]

وأما ما نقل عن بعض المفسرين:

من أن هذه الآية نزلت في ميدان معركة بدر، في حين إن جمهور المفسرين على القول بمكّيتها، فالظاهر– والله أعلم – أن منشأ هذا الاشتباه على أصحاب هذا القول هو تلاوة النبي– صلى الله عليه وسلم – لهذه الآية في ساحة القتال يوم بدر، ولذا فقد وقع الاشتباه عليهم أنها نزلت يوم بدر بسبب ذلك، وهذا ما نبه عليه الطاهر ابن عاشور وأشار إليه – رحمه الله –.

وهذا ما أشار إليه الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ) **– رحمه الله – بقوله:**

﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ ﴾ وقد كان هذا يوم بدر، وهو من دلائل النبوة لأن الآية مكية، وقد نزلت حيث لم يفرض جهاد ولا كان قتال، ولذا قال عمر . رضي الله تعالى عنه . : يوم نزلت أيُّ جمع يهزم أيّ من جموع الكفار؟ ولم يتعرض لقتال أحد منهم؟. [١٤٩]

والمعنى:

قوله: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ (القمر:٤٥). أي: سيتفرق شملهم ويغلبون. [١٥٠]

قال أبو حيان الأندلسي (ت:٧٤٥هـ) **– رحمه الله –:**

---

[١٤٤] المحرر الوجيز: (١٣٦/٢٧).

[١٤٥] زاد المسير: (٨٧/٨–٨٨).

[١٤٦] فتح القدير: (١٥٨/٥).

[١٤٧] الاسم الموصول في قوله: "الذي" يعود الضمير فيه على قوله: "قوله تعالى"، والمعنى: أن قوله تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾. (القمر:٤٥). هو: " الذي" نزل يوم بدر. الباحث.

[١٤٨] التحرير والتنوير: (١٦٥/٢٧).

[١٤٩] تفسير الألوسي: (٩٢/٢٧).

[١٥٠] تفسير ابن كثير: (٤ /٢٦٦).

شبكة الألوكة www.alukah.net

" هذا وعد من الله ـ تعالى ـ لرسوله – صلى الله عليه وسلم – بهزيمة جمع قريش". [١٥١]

وكان هذا الإخبار في مكة قبل مشروعية الجهاد، ثم تحقق في غزوة بدر من العام الثاني للهجرة.

وقال القرطبي(ت:٦٧١هـ) – رحمه الله – :

"وهذا مِن معجزات النبي – صلى الله عليه وسلم – ؛ لأنه أخبر عن غيب فكان كما أخبر ". [١٥٢]

وقال الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) – رحمه الله – :

" وهذا بشارة لرسوله – صلى الله عليه وسلم – بذلك، وهو يعلم أن الله منجز وعده، ولا يَزيد ذلك الكافرين إلا غرورًا فلا يعيروه جانب اهتمامهم. وأخذ العدة لمقاومته ". [١٥٣]

وقد روى البخاري عن عائشة أم المؤمنين(ت:٥٨هـ) – رضي الله عنها – قالت:

نزل على محمد – صلى الله عليه وسلم – بمكة وإني لجارية ألعب: ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ... ﴾ [١٥٤] الآية، ومعنى هذا أنها نزلت والمسلمون لا زالوا بمكة مستضعفين قليلين رمتهم العرب عن قوس واحد، ولم تكن حينئذ أية فكرة قتال لدى المؤمنين – إذ الجهاد لم يشرع إلا في السنة الثانية من الهجرة – ولو كان القتال فلم يكن متوقعًا في ميزان القوة أن يتغلب المسلمون فيه، ولذلك روى ابن مردويه عن عكرمة – رضي الله عنه – أن عمر – رضي الله عنه – قال لما نزلت الآية: " أي جمع يهزم أي جمع يغلب؟ ! ". [١٥٥]

وقد ثبت عند البخاري من حديث عبدالله بن عباس– (ت:٦٨هـ) – رضي الله عنهما – أنَّ رَسولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – قالَ: وهو في قُبَّةٍ يَومَ بَدْرٍ: "اللَّهُمَّ إنِّي أنْشُدُكَ عَهْدَكَ ووَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إنْ تَشَأْ لا تُعْبَدْ بَعْدَ اليَومِ فأخَذَ أبو بَكْرٍ بيَدِهِ فَقالَ: حَسْبُكَ يا رَسولَ اللَّهِ، ألْحَحْتَ علَى رَبِّكَ، وهو يَثِبُ في الدِّرْعِ، فَخَرَجَ وهو يقولُ: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ (القمر:٤٥). [١٥٦]

قال ابن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) – رحمه الله – :

قال تعالى مبينًا لضعفهم، وأنهم مهزومون: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾

---

[١٥١] تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: (١٧٠/٨). تفسير أبي حيان: البحر المحيط في التفسير المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

[١٥٢] تفسير القرطبي: (١٧ / ١٤٦).

[١٥٣] التحرير والتنوير: (٢٧ / ٢٣١).

[١٥٤] صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن: (٤٧٠٧).

[١٥٥] مختصر تفسير ابن كثير: (٤١٢/٣-٤١٣). وأثر عمر مروي عن أبي هريرة ، وضعفه السيوطي في لباب النقول: (١٤٤). والأثر إسناده صحيح إلى عكرمة، لكنه لم ير عمر، فهو منقطع عن عمر، كما قاله الحافظ ابن حجر، وجاء من مرسل قتادة وغيره: يُنظر: تفسير الطبري (٢٢/ ١٥٧). والله أعلم.

[١٥٦] رواه البخاري: (٤٨٧٥).

شبكة الألوكة www.alukah.net

(القمر:٤٥). فوقع كما أخبر، هزم الله جمعهم الأكبر يوم بدر، وقتل من صناديدهم وكبرائهم ما ذلوا به ونصر الله دينه ونبيه وحزبه المؤمنين. [١٥٧]

وبعد تحقق ما وعد الله به عباده المؤمنين من النصر على كفار قريش وهزيمتهم، ذكَّرهم اللهُ تعالى بمنته وتفضله عليهم بهذا النصر وأوصاهم بتقواه وشكره سبحانه فقال جل في علاه: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (آل عمران: ١٢٣).

وهذه سنة الله مع أنصار دينه وحماة شريعته في كل زمان ومكان، كما قال ربنا تبارك وتعالى في محض امتنانه على صفوة عباده: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ (غافر: ٥١)

قال الطبري (ت: ٣١٠هـ) **– رحمه الله –:**

قول الله: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ قد كانت الأنبياء والمؤمنون يقتلون في الدنيا وهم منصورون، وذلك أن تلك الأمة التي تفعل ذلك بالأنبياء والمؤمنين لا تذهب حتى يبعث الله قومًا فينتصر بهم لأولئك الذين قتلوا منهم. [١٥٨]

والوجه الآخر: أن يكون هذا الكلام على وجه الخبر عن الجميع من الرسل والمؤمنين، والمراد واحد، فيكون تأويل الكلام حينئذ: إنا لننصر رسولنا محمدًا – صلى الله عليه وسلم – والذين آمنوا به في الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد، كما بيَّنا فيما مضى أن العرب تخرج الخبر بلفظ الجميع، والمراد واحد إذا لم تنصب للخبر شخصًا بعينه. [١٥٩]

وفي عموم تحقق وعد الله بنصرة أوليائه وصفوة عباده يقول تبارك وتعالى:

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (الصافات: ١٧١-١٧٣).

وقوله تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ (القمر:٤٥).

فَهُزِمَ جمعُ قريش وعسكرُ الكفر في غزوة بدر الكُبرى في العام الثاني من الهجرة.

و– انتهت الغزوة بانتصار المسلمين على أعدائهم، وقُتل سبعون من المشركين؛ منهم أبو جهل، وعُقبة بن أبي مُعيط، وأُسِر سبعون منهم، واستُشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً، وغَنِم المسلمون منهم غنائم كثيرة، وقاموا بتقسيمها وِفق قوله – تعالى–: ﴿ وَاعلَموا أَنَّما غَنِمتُم مِن شَيءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسولِ وَلِذي القُربى وَاليَتامى وَالمَساكينِ وَابنِ السَّبيلِ إِن كُنتُم آمَنتُم بِاللَّهِ وَما أَنزَلنا عَلى عَبدِنا يَومَ الفُرقانِ يَومَ التَقَى الجَمعانِ وَاللَّهُ عَلى كُلِّ شَيءٍ

---

[١٥٧] تفسير ابن سعدي: (٨٢٧).

[١٥٨] يرويه الطبري بسنده عن السدي.

[١٥٩] تفسير الطبري: (٢١/ ٤٠١).

شبكة الألوكة www.alukah.net

قَدِيرٌ ﴾ (الانفال: ٤١). [١٦٠]

وكانت هذه الغزوة سببًا ودافعًا كبيرًا في تقوية شوكة المسلمين، ورهبة قلوب الأعداء مهم، وجعلت لهم مكانةً في جزيرة العرب.[١٦١]

المطلب الثاني: الثقة بوعد الله بتحقق النصر لا يتنافى مع الأخذ بالأسباب

مع ثقة النبي – صلى الله عليه وسلم – ويقينه بتحقق موعود الله له بالنصر فإنه توكَّل على الله وحده، ومع ذلك لم يتوان عن الأخذ بالأسباب الحسية من إعداد العدة والعتاد والرجال عملًا بقول تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (الأنفال: ٦٠)

ولم يتوان – صلى الله عليه وسلم – كذلك –عن الأخذ بالأسباب المعنوية من كثرة الدعاء والتضرع والإلحاح على الله عز وجلَّ لينجز له ما وعده به من نصر المؤمنين وإلحاق الهزيمة بالمشركين عملًا بقول تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ... ﴾ (غافر: ٦٠)

وقد ثبت عند البخاري من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ –(ت:٦٨هـ) – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا –، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ فِي قُبَّةٍ يَوْمَ بَدْرٍ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ اليَوْمِ" فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ– وَهُوَ فِي الدِّرْعِ – فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ، وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴾ (القمر:٤٥– ٤٦).[١٦٢]

ثم تأمل ما ثبت عند مسلم من حديث ابن عَبَّاسٍ(ت:٦٨هـ) – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – أيضًا، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْف، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ:

"اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ"، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ

---

[١٦٠] سبل السلام من صحيح سيرة خير الانام عليه الصلاة والسلام، (الطبعة الثانية)، اليمن: مكتبة الغرباء الأثرية، صالح عبد الواحد (ت: ١٤٢٨هـ)، صفحة ٣٢٦–٣٣٠. بتصرّف.

[١٦١] السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شُهبة (ت: ١٤٢٧هـ)، (الطبعة الثامنة)، دمشق: دار القلم، صفحة ١٧٠، جزء ٢. بتصرّف.

[١٦٢] رواه البخاري: (٢٩١٥).

شبكة الألوكة www.alukah.net

لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلّ: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ (الأنفال: ٩)، فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ. [١٦٣]

"وتمر الأيام ويتميز معسكر الكافرين عن معسكر المؤمنين وتقع غزوة بدر فيعرف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قد جاء اليوم الموعود، قال عمر– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– : " فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يثب في الدرع ويقول:" سيهزم الجمع.." فعرفت تأويها يومئذ".[١٦٤]

خليلا الرحمن وثمار التوكل:

روى البخاري في صحيحه من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما– قَالَ: ﴿ حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيْلُ ﴾ قَالَهَا إِبْرَاهِيْمُ عليه السلام حِيْنَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ – صلى الله عليه وسلم – حِيْنَ قَالُوا: ﴿....إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيْلُ ﴾ (آل عمران: ١٧٣). [١٦٥]

وهي آخرَ قولِ إبراهيمَ –عليه السلام – حينَ أُلْقِيَ في النَّارِ:

قال ابنِ عباسٍ – رضِي اللهُ عنهما –: كان آخرَ قولِ إبراهيمَ حينَ أُلْقِيَ في النَّارِ: ﴿ حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيْلُ ﴾ [١٦٦]

فلمَّا توكل إبراهيم عليه السلام على ربه واستكفى واستغنى به عمن سواه وفوض أمره إليه – سبحانه – وحده كانت عاقبته أمره نجاة وسلامة ورشدًا كما قال جل في علا: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ (الأنبياء: ٦٩).

وكذلك صار الأمر نفسه مع رسول– صلى الله عليه وسلم – الله لما فوَّض أمره إلى الله وتوكَّل عليه وحده وقال: ﴿ حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيْلُ ﴾ كانت عاقبة أمره سلامة ونجاة من كل سوء ومكروه كما قال سبحانه: ﴿ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ (آل عمران: ١٧٤). [١٦٧]

سببُ نُزولها:

عن ابنِ عبَّاسٍ – رضِي اللهُ عنهما– قال: (..... وقد كانَ أبو سُفيانَ قال للنَّبيِّ

---

[١٦٣] رواه مسلم: (١٧٦٣).

[١٦٤] مختصر تفسير ابن كثير: (٤١٣/٣٤١٢). بتصرف.

[١٦٥] رواه البخاري: (٤٥٦٣).

[١٦٦] المصدر السابق نفسه.

[١٦٧] والآية وإن كان نزولها في حمراء الأسد بعد غزوة أحد، إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. الباحث.

شبكة الألوكة www.alukah.net

– صلى الله عليه وسلم –: مَوعدُك مَوسِمُ بَدْرٍ حيث قتلتُم أصحابَنا، فأمَّا الجبانُ فرجَع، وأمَّا الشُّجاعُ فأخَذ أُهْبةَ القِتالِ والتِّجارةِ فلم يَجِدوا به أحدًا، وتسوَّقوا، فأنزَل اللهُ تعالى: ﴿ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ﴾ (آل عمران: ١٧٤)). [١٦٨]

والمعنى:

﴿ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ ﴾ أي: انصرَفَ الصَّحابةُ الَّذين استجابوا للهِ تعالى ورسولِه تأهُّبًا لردعِ المشركين، انصرَفوا مِن مَنطقةِ حمراءِ الأسدِ دون أن يَلقَوْا بها عَدوًّا، راجعين بأَجْرِ الجهادِ في سبيله، وبالأرباحِ الَّتي نالوها من الاتِّجارِ هناك. [١٦٩]

﴿ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ﴾ أي: لم ينَلْهم أيُّ أذًى أو مَكروهٍ مِن عدوِّهم.

﴿ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ﴾أي: رجَعوا أيضًا برِضَا اللهِ تعالى عنهم؛ فقدْ أرْضَوُا اللهَ تعالى باستجابتِهم لِمَا أمَرهم به، وانقيادِهم لرسولِه عليه الصَّلاة والسَّلام لردعِ الأعداء.

﴿ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ أي: إنَّ اللهَ تعالى صاحبُ الفضلِ الكبيرِ والإحسانِ العميمِ على عِبادِه، في الدُّنيا والآخِرَة، ومِن ذلك تَفضُّلُه على هؤلاءِ الصَّحابةِ الكرامِ بالعودةِ مِن غَزوِهم هذا سالِمين مِن العدوِّ، راجِعين برِضا اللهِ تعالى عنهم، وبما نالوه من الأُجورِ الأُخرويَّة، والمكاسِبِ الدُّنيويَّة. [١٧٠]

والنبي – صلى الله عليه وسلم– بذل الأسباب الحسية والمعنوية وتوكل على الله تعالى، ولم يعتمد على الأسباب ولم يلتفت إليها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) – رحمه الله–:

"الِالْتِفَاتَ إلَى السَّبَبِ: هُوَ اعْتِمَادُ الْقَلْبِ عَلَيْهِ وَرَجَاؤُهُ وَالِاسْتِنَادُ إلَيْهِ، وَلَيْسَ فِي الْمَخْلُوقَاتِ مَا يَسْتَحِقُّ هَذَا، لِأَنَّهُ لَيْسَ مُسْتَقِلًّا، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ شُرَكَاءَ وَأَضْدَادٍ، وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ : فَإِنْ لَمْ يُسَخِّرْهُ مُسَبِّبُ الْأَسْبَابِ، لَمْ يُسَخَّرْ". [١٧١]

وإنما كان ذلك كله من النبي – صلى الله عليه وسلم– من كمال إيمانه وحسن إسلامه وكمال عبوديته وتمام توكله على ربه عز وجل..

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) – رحمه الله –:

---

[١٦٨] أخرجه النسائي، في السنن الكبرى: (١١٠٨٣)، والطبراني: (٢٤٧/١١) (١١٦٣٢). قال الهيثمي في مجمع الزوائد: (١٢٤/٦): رجاله رجال الصحيح غير محمَّد بن منصور الجواز وهو ثقة. وصحَّح إسنادَه الشوكانيُّ في تفسيره: (٥٩٧/١)، وصحَّحه الوادعيُّ في صحيح أسباب النزول)) (٦٦).

[١٦٩] يُنظر: تفسير الطبري: (٢٥٣/٦)، تفسير ابن كثير: (١٧١/٢)، تفسير ابن سعدي: (ص: ١٥٧)، تفسير ابن عثيمين– سورة آل عمران: (٤٥٠/٢-٤٥١).

[١٧٠] يُنظر: تفسير الطبري: (٢٥٣/٦)، تفسير ابن عثيمين– سورة آل عمران: (٤٥١/٢).

[١٧١] مجموع الفتاوى: (١٦٩/٨).

شبكة الألوكة www.alukah.net

"التوكل نصف الدين، والنصف الثاني الإنابة، فإن الدين استعانة وعبادة فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة، ومنزلته أوسع المنازل وأجمعها، ولا تزال معمورة بالنازلين لسعة متعلق التوكل، وكثرة حوائج العالمين". [١٧٢]

قال سعيد بن جُبير (ت: ٩٥هـ) **– رحمه الله–**: "التوكل على الله جِماع الإيمان". [١٧٣]

ولعل في هذا البيان كفاية والحمد لله رب العالمين.

المبحث الثالث: الإخبارُ عن موت أبي لهب وامرأته على الكفر وتحقق ذلك

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإخبارُ عن موت أبي لهب وامرأته على الكفر

من المغَيَّبَاتِ التي أخبر الله عنها في كتابه، وكانت في صدر البعثة، إخباره عن موت أبي لهب وامرأته على الكفر وتحقق ذلك الحدث الجلل العظيم.

قال تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ .مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ .سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ. وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ. فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ (المسد: ١-٣).

"فقوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ أي: خسرت وخابت، وضل عمله وسعيه

﴿ وَتَبَّ ﴾ أي: وقد تب تحقق خسارته وهلاكه.

ف الأول دعاء عليه، والثاني خبر عنه. وأبو لهب هذا هو أحد أعمام رسول الله

– صلى الله عليه وسلم– واسمه: عبد العزى بن عبد المطلب، وكنيته أبو عتبة. وإنما سمي أبا لهب لإشراق وجهه، وكان كثير الأذية لرسول – صلى الله عليه وسلم – والبغضة له، والازدراء به، والتنقص له ولدينه.

﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ وكانت زوجته من سادات نساء قريش، وهي أم جميل، واسمها أروى بنت حرب بن أمية، وهي أخت أبي سفيان. وكانت عونًا لزوجها على كفره وجحوده وعناده; فلهذا تكون يوم القيامة عونًا عليه في عذابه في نار جهنم. ولهذا قال: ﴿ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ يعني: تحمل الحطب فتلقي على زوجها، ليزداد على ما هو فيه، وهي مهيأة لذلك مستعدة له.

قال سعيد بن المسيب(ت: ٩٤هـ) **– رحمه الله–** :كانت لها قلادة فاخرة فقالت: لأنفقنها في عداوة محمد يعني: فأعقبها الله بها حبلًا في جيدها من مسد النار.

وقال مجاهد (ت: ١٠٤هـ) **– رحمه الله–**: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ أي: طوق من حديد، ألا ترى أن العرب يسمون البكرة مسدًا ؟[174])

---

[١٧٢] مدارج السالكين: (٢/ ١١٣).

[١٧٣] مصنف ابن ابي شيبة: (٧/ ٢٠٢).

[174] – تفسير ابن كثير: (٨/٥١٤-٥١٦). بتصرف

شبكة الألوكة www.alukah.net

فكان الجزاء من جنس العمل: ﴿.....وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٩)

المطلب الثاني: إعجاز القرآن في تحقق نبوءته بموت أبي لهب وامرأته على الكفر

"وفي هذه الآيات إخبارٌ من الله تعالى أن عمَّ النبي – صلى الله عليه وسلم – أبا لهب سيموت على الكفر ولن يدخل في الإسلام، وهو أمر غيبي أوحاه الله لنبيِّه عليه الصلاة والسلام، وكان بإمكان أبي لهب أن يعلن إسلامه ليكذِّب هذا الخبر – ولو في الظاهر– لكنه لم يفعل، وقد أحدثت هذه الآيات وقعًا عظيمًا على بعض الكفار الذين أرادوا البحث في القرآن عن أخطاء ليشككوا المسلمين بكتاب ربِّهم تعالى، فأبهرتهم هذه الآية – من ضمن آيات كثيرة – فما كان من هذا الراغب بالتشكيك بالقرآن إلا أن يُعلن إسلامه ويصير من الدعاة للإسلام، وهو الدكتور " جاري ميلر "[١٧٥]، ومما قاله في صدد

هذه الآيات: "هذا الرجل يعني– أبا لهب – كان يكره الإسلام كرهًا شديدًا لدرجة أنه كان يتبع محمدًا – صلى الله عليه وسلم – أينما ذهب ليقلل من قيمة ما يقوله الرسول – صلى الله عليه وسلم –، إذا رأى الرسول يتكلم إلى أناس غرباء فإنه ينتظر حتى ينتهي الرسول – صلى الله عليه وسلم – من كلامه ليذهب إليهم ثم يسألهم ماذا قال لكم محمد؟ لو قال لكم أبيض فهو أسود! ولو قال لكم ليل فهو نهار! والمقصد أنه يخالف أي شيء يقوله الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – ويشكك الناس فيه.

وقبل عشر سنوات من وفاة أبي لهب نزلت سورة في القرآن اسمها " سورة المسد "، هذه السورة تقرر أن أبا لهب سوف يذهب إلى النار، أي بمعنى آخر: أن أبا لهب لن يدخل الإسلام، وخلال عشر سنوات كاملة كل ما كان على أبي لهب أن يفعله هو أن يأتي أمام الناس ويقول: " محمد يقول إني لن أسلم وسوف أدخل النار ولكني أعلن الآن أني أريد أن أدخل في الاسلام وأصبح مسلمًا، الآن ما رأيكم هل محمد صادق فيما يقول أم لا؟ هل الوحي الذي يأتيه وحي إلهي؟ "، لكنَّ أبا لهب لم يفعل ذلك تمامًا، رغم أن كل أفعاله كانت هي مخالفة الرسول – صلى الله عليه وسلم –، لكنه لم يخالفه في هذا الأمر، يعني القصة كأنها تقول إن النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول لأبي لهب أنت تكرهني وتريد أن تُنهيني؟ حسنًا لديك الفرصة أن تنقض كلامي! لكنه لم يفعل خلال عشر سنوات كاملة! لم يسلم، ولم يتظاهر حتى بالإسلام! عشر سنوات كانت لديه الفرصة أن يهدم الاسلام بدقيقة واحدة! ولكن لأن الكلام هذا ليس كلام محمد– صلى الله عليه وسلم –، ولكنه وحي ممن يعلم الغيب ويعلم أن أبا لهب لن يسلم.

---

[١٧٥] –الدكتور/ جاري ميلر، كان مبشرًا ومنصرًا وواعظًا في الكنيسة الكندية، وبعد أن هداه الله للإسلام تسمى بـ "عبد الأحد عمر"، وعرف بحب الرياضيات، وكان أستاذًا لها في جامعة تورنتو، وكان مهتمًا بعلم المنطق كذلك. يُنظر: حقيقة إسلام العالم الكندي "غاري ميلر". الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) بتصرف .

شبكة الألوكة www.alukah.net

كيف لمحمد – صلى الله عليه وسلم – أن يعلم أن أبا لهب سوف يثبت ما في السورة، إن لم يكن هذا وحيًا من الله؟ كيف يكون واثقًا خلال عشر سنوات كاملة أن ما لديه حق لو لم يكن يعلم أنه وحي من الله؟ لكي يضع شخص هذا التحدي الخطير ليس له إلا معنى واحد هذا وحي من الله". [١٧٦].

---

[١٧٦] الأخبار المستقبلية في القرآن والسنَّة وتحقق وقوعها من أدلة صدق هذا الدِّين، مقال عن موقع الإسلام سؤال وجواب، بتاريخ:١٩/٥/٢٠١١م. بتصرف

وختامًا لهذا الأمر الجلل نقول:

لو أن أبا لهب قام بعد نزول هذه السورة ونطق بالشهادتين، لاختلت الموازين، ولكن هيهات هيهات، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، فهناك رب علام للغيوب، وأن هذا لن يخطر ببال أبي لهب ولا امرأته أبدًا وأنه سيختم لهما بخاتمة السوء، وأنهما سيموتان على الكفر.... ثم من أطلع نبيه محمدًا – صلى الله عليه وسلم – أن أبا لهب وامرأته سوف يموتا على الكفر؟ والتاريخ شاهد على أن هناك من كانوا على الشرك مثلهما تمامًا، بل كانوا من ألد أعداء الإسلام، وحاربوا وقاتلوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه في مواطن شتى، وقد شرح الله صدورهم للإسلام وأنار الله بصائرهم وهدى قلوبهم، ومن أبرز هؤلاء: عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وقد أسلم قبل الهجرة، قيل في سنة ستة من البعثة، وعمرو بن العاص – رضي الله عنه – أسلم قبل الهجرة كذلك، قيل في السنة الثامنة من البعثة، وخالد بن الوليد – رضي الله عنه – أسلم بعد الهجرة كذلك، قيل في السنة الثامنة من البعثة بعد الحديبية، وعكرمة بن أبي جهل – رضي الله عنه – أسلم عام الفتح في السنة الثامنة، وأبو سفيان بن حرب – رضي الله عنه – مع شدة عدواته وقيادته لقريش في قتال النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه في عدة معارك حاسمة طاحنة ومتتابعة، وقد أسلم عام الفتح في السنة الثامنة كذلك، وغيرهم.

أليس هذا إعجازا بكل ما تحمله تلك الكلمة من معنى.

المبحث الرابع: توعد رب العزة تبارك وتعالى الوليد بن المغيرة بالعذاب الأليم والإخبار عن سوء خاتمته وموت على الكفر وتحقق ذلك

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نزول آيات متتابعات في شأن هلاكه

لقد توعد رب العزة تبارك وتعالى الوليد بن المغيرة بالعذاب الأليم وأخبر عن سوء خاتمته وموته على الكفر وقد تحقق هذا الوعيد كما أخبر بذلك علاَّم الغيوب.

ونقف هنا ثلاث وقفات:

الوقفة الأولى: مكانته في قومه

كان الوليد بن المغيرة (ت: ١هـ) زعيمًا من زعماء قبيلة قريش وسيِّدًا من ساداتها، وهو من قُضاة العرب الكبار في الجاهلية إذ اشتُهر بحكمته وبلاغته،[١٧٧] ولقِّبَ بين العرب بالعدل، لأنَّه كان يكسو الكعبة وحده سنة، وقريش

---

[١٧٧] الأعلام، للزركلي: (ص: ١٢٢). بتصرّف. الأعلام المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

شبكة الألوكة www.alukah.net

جميعها تكسوها سنة، فكان يعدلُ قريشًا في ذلك، ولذلك كان عظيمَ القدر في الجاهلية،[١٧٨] وكان من أكثر الناس مالًا وولدًا في قريش، ورغم جاهليته وشركه فقد حرَّم شرب الخمر على نفسه وعلى أولاده.

الوقفة الثانية: لماذا أنزل الله تعالى آيات وعيد وتهديد في الوليد؟

لقد حَرَمَ اللهُ تعالى الوليدَ بن المغيرة من الهداية، وواجهَ الإسلام منذ البداية بالعداوة وقاوم الدعوة الإسلامية. [١٧٩] وكان من ثمرة تلك العداوة والبغضاء لدين الله والصدّ عن سبيله ومحادة الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم– أن ختم اللهُ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ، فكان حرمانه من الهداية جزاء وفاقًا لعمله وعداوته لدين الله وشرعه، ولا يظلم ربك أحدًا.

قال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الجاثية: ٢٣).

وقد علم الله الذي يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لوكان كيف كان يكون، علم –سبحانه – بعلمه وإحاطته بكل شيء أن الوليد لن يهتدي، ومن حكمته ورحمته وعدله وسنته في خلقه أنه لن يحاسبهم إلا بما كسبته وجنته أيديهم.

الوقفة الثالثة: موقفه عند سماعه القرآن

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ(ت:٦٨هـ) **– رضي الله عنهما – قَالَ:** جَاءَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ إِلَى النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم– " فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَكَأَنَّهُ رَقَّ لَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا عَمِّ، إِنَّ قَوْمَكَ يَرَوْنَ أَنْ يَجْمَعُوا لَكَ مَالًا، قَالَ: لِمَ؟، قَالَ: لِيُعْطُوكَهُ، فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا، لِتُعْرِضَ عَمَّا قِبَلَهُ، قَالَ: قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا، قَالَ: فَقُلْ فِيهِ قَوْلًا يَبْلُغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكِرٌ لَهُ، أَوْ أَنَّكَ كَارِهٌ لَهُ، قَالَ: وَمَاذَا أَقُولُ؟، فَوَ اللهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمَ بِالأَشْعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمَ بِرَجَزٍ وَلَا بِقَصِيدَةٍ مِنِّي، وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ، وَاللهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا.

ثم قال الوليد مقولته المشتهرة:

وَوَاللهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلاوَةً[١٨٠]، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلاهُ، مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى، وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ[١٨١]، قَالَ: لَا يَرْضَى عَنْكَ قَوْمُكَ حَتَّى تَقُولَ فِيهِ، قَالَ: فَدَعْنِي حَتَّى أُفَكِّرَ، فَلَمَّا فَكَّرَ قَالَ: هَذَا

---

[١٧٨] أنساب الأشراف، للبلاذري: (ص: ٢٠٣). بتصرّف.

[١٧٩] الأعلام، للزركلي: (ص: ١٢٢). بتصرّف.

[١٨٠] وطلاوة: أي رونقًا وحسنًا وقبولًا. ابن منظور: لسان العرب، مادة طلى: (١٠/١٥).

[١٨١] يُنظر: المستدرك على الصحيحين للنيسابوري – كتاب التفسير – تفسير سورة المدثر – مدح كلام الله من لسان الكافر: مسألة:(١٥٠٦)، (٣٩٢٦)، قال النيسابوري: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه.، ورواه الحاكم: في كتاب التفسير (٣٨٧٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وصححه الألباني، يُنظر: صحيح السيرة النبوية ص١٥٩. وضعفه الذهبي وحكم عليه بالإرسال كما في تاريخ الإسلام: (١٥٤/١) وقال: روي مرسلاً، وضعفه كذلك مقبل بن هادي الوادعي في صحيح أسباب النزول: (٢٦٢/١). ويُنظر: عَرَفَةُ بْنُ طَنْطَاوِيّ: (جَنَى الحُرْفَةِ في إبطالِ القولِ بالصَّرْفَةِ) (ص: ٤٣)، جَنَى الحُرْفَةِ

شبكة الألوكة www.alukah.net

سِحْرٌ يُؤْثَرُ، يَأْثُرُهُ مِنْ غَيْرِهِ، فَنَزَلَتْ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ **إلى قوله:** ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ **الآيات من سورة** (المدثر: ١١-٣٠) [١٨٢].

قال ابن سعدي(ت:١٣٧٦هـ) **– رحمه الله –:**

هذه الآياتُ: نَزَلَتْ في الوَلِيدِ بنِ الْمُغيرةِ، مُعانِدِ الحقِّ، والمبارِزِ لِلَّهِ ولرسولِه بالمحارَبَةِ والمشَاقَّةِ، فذَمَّه اللَّهُ ذَمًّا لم يَذُمَّه غيرَه، وهذا جَزَاءُ كلِّ مَن عانَدَ الحقَّ ونابَذَه أنَّ له الْخِزْيَ في الدنيا، ولَعذابُ الآخِرَةِ أَخْزَى، فقال: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾؛ أي: خَلَقْتُه مُنْفَرِدًا بلا مالٍ ولا أهْلٍ ولا غيرِه، فلم أَزَلْ أُنَمِّيهِ وأُرَبِّيهِ. [١٨٣]

وقال ابن حيَّان الأندلسي(ت:٧٤٥هـ) **– رحمه الله –:**

و" لا خلاف أنها نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي". [١٨٤]

ومثل الوليد بن المغيرة فعل نده من المشركين عتبة بن ربيعة إذ قال لقومه:

" إني سمعت قولًا والله ما سمعت مثله قط. والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة واجعلوها لي، خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ....". [١٨٥].

المطلب الثاني: تحقق وعيد رب العزة تبارك وتعالى فيما توعده به والإخبار عن سوء خاتمته وموت على الكفر

ولنا هنا خمس وقفات:

الوقفة الأولى: إدراكه للبعثة وموقفه منها

أدرك الوليد بن المغيرة بعثة الرسول ولم يسلم، بل قال مستنكرًا عدم نزول الدعوة عليه هو، وهو كبير قريش: "أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها، ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف، فنحن عظيما القريتين"، فأنزل الله فيه: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيم ﴾ (الزخرف: ٣١). [١٨٦]

في إبطالِ القولِ بالصَّرْفةِ، تأليف: عَرَفَةُ بْنُ طَنْطَاوِيّ، بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية- مجلة محكمة- العدد الستون، تاريخ النشر: صفر١٤٤٢هـ.

وثبوت الأثر عند الباحث محل نظر، لوجود اضطراب لدى المحققين في ثبوته وصحته.

[١٨٢] صححه الألباني في صحيح السيرة: (ص: ١٥٩).

[١٨٣] تفسير ابن سعدي: (٨٩٦).

[١٨٤] تفسير البحر المحيط: (٣٧٣/٨).

[١٨٥] وأثر: عتبة بن ربيعة ضعيف: وقد أخرج قصة عتبة بن ربيعة ابن إسحاق فيما ذكر ابن هشام (٢٩٣/١-٢٩٤) ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة (٢٠٤/٢-٢٠٥). حديث رقم: (٥٣٦)، الاعتقاد إلى سبيل الرشاد للبيهقي: حديث رقم: (٢٦٢). والأثر: إسناده ضعيف لأن به موضع إرسال، وفيه أحمد بن عبد الجبار العطاردي وهو ضعيف الحديث. يُنظر: عَرَفة بْنُ طَنْطَاوِيّ، الشُّفْعَة بَيْنَ الجَمْعِ العُثْمَانِيّ وَالأَحْرُفِ السَّبْعَةِ: (١٢٠/١). بحث محكم مجاز للنشر من مجلة الدراسات الشرعية(مجلة محكمة) في شهر الثاني من محرم ١٤٤٣هـ، عدد الأجزاء٢، (عدد الصفحات: ٨٠٥).

[١٨٦] الوليد بن المغيرة المخزومي، الموسوعة العربية، مؤرشف من الأصل في ٠٣ يونيو ٢٠١٨م. اطلع عليه بتاريخ ٢٥ يناير ٢٠١٧م.

شبكة الألوكة www.alukah.net

وهؤلاء الكفرة الفجرة ملأ الحقد والحسد صدورهم وغلت به قلوبُهم وازداد حتى أعلنوا به وأظهروه: ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (القصص: ٦٩).

والمعنى:

﴿ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ ﴾ أي: (تضمر صُدُورُهُمْ) من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسده، وما يعلنون من مطاعنهم فيه، وقولهم: هلا اختير عليه غيره في النبوة. [١٨٧]

الوقفة الثاني: النبوة منحة إلهية

النبوة منحة إلهية، لا تنال بمجرد التشهي والرغبة، ولا تنال بالمجاهدة والمعاناة، وقد كذّب الفلاسفة الذين زعموا أن النبوة تنال بمجرد الكسب بالجدّ والاجتهاد، وتكلّف أنواع العبادات، واقتحام أشقّ الطاعات، والدأب في تهذيب النفوس، وتنقية الخواطر، وتطهير الأخلاق، ورياضة النفس والبدن. [١٨٨]

وقد بيّن الله في أكثر من آية أنّ النبوة نعمة ربانية إلهية، قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرائيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا.... ﴾ (مريم: ٥٨)، وذكر اللهُ قولَ يعقوب لابنه يوسف: ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبّكَ.... ﴾ (يوسف: ٦)، وقال الله لموسى: ﴿ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي.... ﴾ (الأعراف: ١٤٤).

وقد طمع أمية بن أبي الصَّلت في أن يكون نبي هذه الأمة، وقال الكثير من الشعر متوجهًا به إلى الله، وداعيًا إليه، ولكنه لم يحصل على مراده، وصدق الله إذ يقول: ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ (الأنعام: ١٢٤).

وعندما اقترح المشركون أن يختار الله لأمر النبوة والرسالة أحد الرجلين العظيمين في مكة والطائف عروة بن مسعود الثقفي أو الوليد بن المغيرة، أنكر الله ذلك القول، وبين أنّ هذا مستنكر، فهو الإله العظيم الذي قسم بينهم أرزاقهم في الدنيا، أفيجوز لهم أن يتدخلوا في تحديد المستحقّ لرحمة النبوة والرسالة؟

﴿ وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدّنْيَا....﴾ (الزخرف: ٣١-٣٢). [١٨٩]

الوقفة الثالثة: توعد رب العزة تبارك وتعالى بسبب كفره وجحوده

قال تعالى في حقه: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا....﴾

والمعنى:

"يقول تعالى متوعدا لهذا الخبيث الذي أنعم الله عليه بنعم الدنيا، فكفر بأنعم الله، وبدلها كفرًا، وقابلها بالجحود بآيات الله والافتراء عليها، وجعلها من قول البشر.

---

[١٨٧] مدارك التنزيل، للنسفي: (٢/٦٥٤-٢٥٥).

[١٨٨] لوامع الأنوار البهية، للسفاريني: (٢/٢٦٧).

[١٨٩] الرسل والرسالات، لعمر الأشقر: (ص: ٥٩).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد عدد الله عليه نعمه حيث قال: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ **أي:** خرج من بطن أمه وحده لا مال له ولا ولد، ثم رزقه الله.

وقوله: ﴿ سأرهقه صعودًا ﴾

قال مجاهد: أي: مشقة من العذاب.

وقال قتادة عذابًا لا راحة فيه، واختاره ابن جرير

– وبالجمع بين قولي مجاهد، وقتادة، يتبين نوع العذاب ومشقته وشدته وأنه عذاب دئم لا راحة فيه والعياذ بالله –

وقوله عز وجل: ﴿ سأصليه سقر ﴾ أي: سأغمره فيها من جميع جهاته. [١٩٠]

ومن هول هذا العذاب وشدته وفظاعته أنه يحيط به من كل جانب، نعوذ بالله من سخطه وغضبه وعذابه وأليم عقابه.

وسبحان الله! فقد جاء هذا الإخبار مبكرًا في صدر البعثة لأن هذه الآيات من سورة المدثر، وبالتأمل في زمن نزولها يظهر جليًا وجه الإعجاز عن الإخبار عن تلك المغيبات فتقع كما أخبر الله تعالى، ومنها الإخبار عن موت الوليد بن المغيرة على الكفر.

الوقفة الرابعة: سبب وزمن نزول سورة المدثر

إن المتأمل في زمن نزول سورة المدثر يتحقق له أن ذلك كان في صدر البعثة، وبهذا يتبين وجه الإعجاز في الإخبار عن المغيبات في القرآن وتحققها بحذافيرها، والتي من أبرزها الإخبار عن سوء خاتمة الوليد بن المغيرة وتحقق موته على الكفر.

سبب وزمن نزول سورة المدثر:

فأمّا عن سبب وزمن نزول سورة المدثر، فقد روى مسلم في بسنده عن يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِير، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ قَبْلُ ؟ قَالَ: ﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ (المدثر: ١)، قُلْتُ: أَوِ ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ (العلق: ١) ؟ قَالَ: سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصَارِيَّ :أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ قَبْلُ ؟ قَالَ: ﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ (المدثر: ١)، قَالَ: قُلْتُ أَوِ ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ (العلق: ١)، قَالَ جَابِرٌ: أُحَدِّثُكُمْ مَا حَدَّثَنِي بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنِّي جَاوَرْتُ بِحِرَاءَ شَهْرًا، فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي نَزَلْتُ فَاسْتَبْطَنْتُ بَطْنَ الْوَادِي، فَنُودِيتُ فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا هُوَ عَلَى الْعَرْشِ [١٩١] فِي الْهَوَاءِ، يَعْنِي: جِبْرِيلَ، فَأَخَذَتْنِي رَجْفَةٌ، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَأَمَرَتْهُمْ فَدَثَّرُونِي ثُمَّ صَبُّوا عَلَيَّ الْمَاءَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ ﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ

---

[١٩٠] تفسير ابن كثير: (٨/٢٦٥-٢٦٦).

[١٩١] أي على الكرسي، كما توضحه وتصرح به روايات أخر في كتاب بدء الوحي، وفي كتاب بدء الخلق، وفي كتاب التَّفسير من صحيح البخاري، وفي كتاب الإيمان من صحيح مسلم

شبكة الألوكة www.alukah.net

قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ (المدثر: ١-٢). " [١٩٢]

الجواب عن استنتاج جابِرٌ (ت: ٧٨هـ) – رضِيَ اللهُ عنه –:

واستنتج جابِرٌ – رضِيَ اللهُ عنه – من ذلك أنَّ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ نزلت قبل الآياتِ الخَمْسِ مِن سُورةِ العَلَقِ باجتِهادِه وظَنِّه؛ فلا يُعارِض ما في الصَّحيحين: أن أوَّلَ ما نزَلَ مِن القرآنِ هو قولُ اللهِ تعالَى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾؛ فهو أوَّلُ ما نَزَل مِن القرآنِ على الإطلاقِ، أو يُقالُ: إنَّ لفظَ "أوَّل" مِن الأُمورِ النِّسبيَّةِ، فالمدَّثِّر يَصدُقُ عليه أنَّه أوَّلُ ما نَزَل بالنِّسبَةِ إلى ما نَزَل بَعدَه. ويحتَمِلُ أن يكونَ مُرادُه بأوَّليَّةِ المدَّثِرِ أوَّليَّةً مخصوصةً بما بعد فترةِ الوَحيِ وانقطاعِه، أو مُقَيَّدةً بالإنذارِ لا أوَّليَّةً مُطلَقةً. [١٩٣]

الوقفة الخامسة: تحقق ما أخبر الله به من هلاكه وسوء خاتمته وموته على الكفر:

هلاكه وكيف هلك ؟:

كان الوليد بن المغيرة شيخًا هرمًا عندما بُعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم –،[١٩٤] وقيل أنَّه كان مرةً يسير متبخترًا يجرُّ برديه بالقرب من أبواب بني قمير بن حبشية، فرماه واحدٌ منهم بسهمٍ أصاب ساقه، فانتفخت وامتلأت دمًا وقيحًا، ولم تلبث أن انفجرت بعد أيام،[١٩٥] وتوفي بعد الهجرة بثلاثة أشهر في عام ٦٢٢م ودفن في الحجون- بمكة –. [١٩٦]. عن خمس وتسعين سنة [١٩٧]

المبحث الخامس: تحقق الفتح المبين

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إخبار الله عن رؤيا رسوله – صلى الله عليه وسلم – وتحقق الفتح المبين

من المغيبات التي وقعت في زمن نزول الوحي وأخبر الله عنها في كتابه قبل وقوعها بسنة كاملة ما سماه الله بـ (الفتح المبين) وهو دخول النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه رضوان الله عليهم – البيت الحرم – آمنين من كفار قريش– ومعتمرين بعد فتح خيبر، وكان ذلك بعد أن صدتهم قريش عن البيت ووقع صلح الحديبية في العام الذي قبله.

قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (الفتح: ٢٧).

---

[١٩٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ: (١٦١). عَنْ زُهَيْرِ بْنِ حَرْبٍ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنِ الأَوْزَاعِيِّ عن يَحْيَى بْن أَبِي كَثِير.

[١٩٣] الدرر السنية، الموسوعة الحديثية: شروح الأحاديث، شرح حديث جابر.

[١٩٤] الأعلام، للزركلي: (ص: ١٢٢). بتصرّف.

[١٩٥] المنمق في أخبار قريش، لمحمد بن حبيب البغدادي: (ص: ١٩١). بتصرّف.

[١٩٦] الأعلام، للزركلي: (ص: ١٢٢). بتصرّف.

[١٩٧] الوليد بن المغيرة المخزومي: "الموسوعة العربية". مؤرشف من الأصل في ٠٣ يونيو ٢٠١٨م. اطلع عليه بتاريخ ٢٥ يناير ٢٠١٧ م. (كذا في ابن الأثير والحلبية)

شبكة الألوكة www.alukah.net

والمعنى:

قال الطبري (ت: ٣١٠هـ) – رحمه الله –:

"يقول – تعالى ذكره – : لقد صدق الله رسوله محمدًا – صلى الله عليه وسلم– رؤياه التي أراها إياه أنه يدخل هو وأصحابه بيت الله الحرام آمنين، لا يخافون أهل الشرك، مقصرًا بعضهم رأسه، ومحلقًا بعضهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

وقوله: ﴿ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ قال: النحر بالحُديبية، ورجعوا فافتتحوا خيبر، ثم اعتمر بعد ذلك، فكان تصديق رؤياه في السنة القابلة ". [١٩٨].

سبب نزولها:

قال البغوي (ت: ٥١٠هـ) – رحمه الله –:

"وذلك أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أري في المنام بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام آمنين، ويحلقون رءوسهم ويقصرون، فأخبر بذلك أصحابه، ففرحوا وحسبوا أنهم داخلو مكة عامهم ذلك، فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم، فأنزل الله هذه الآية.

ثم قال: أخبر أن الرؤيا التي أراه إياها في مخرجه إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام صدق وحق". [١٩٩].

وقال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) – رحمه الله –:

"وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد أُرِيَ في المنام أنه دخل مكة، وطاف بالبيت، فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة، فلما ساروا عام الحديبية لم يشكّ جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتفسَّر [٢٠٠] هذا العام، فلمَّا وقع ما وقع من قضية الصُّلح ورجعوا عامهم ذلك على أن يعودوا من قابِلٍ؛ وقع في نفوس بعض الصحابة من ذلك شيء، حتى سأله عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – في ذلك، فقال له فيما قال: أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: " بَلَى فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ؟" قَالَ: قُلْتُ: لا. قَالَ: "فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ".

وقد تحقق هذا الوعد بتمامه من العام التالي؛ فقد اعتمر النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه، على الهيئة التي ذكرهم القرآن الكريم بها؛ من تحليق الرؤوس والأمن في المسجد الحرام، وكان هذا في ذي القعدة من السنة السابعة للهجرة.)

---

[١٩٨] تفسير الطبري: (٢٢/٢٥٧).

[١٩٩] تفسير البغوي: (٧/٣٢٣).

[٢٠٠] أي: تتحقَّق وتقع في هذا العام.

شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي تَحَقُّق وعد الله بالفتح المبين لعباده المؤمنين ظاهرًا جليًا للعيان دلالة على إعجاز القرآن في تحقق ما أخبر الله فيه عن المغَيَّبَات، وفيه دلالة على صدق الرسالة والرسول، ومن قبل ذلك الدلالة على صدق الله وإيفائه بتحقق ما وعد به عباده المؤمنين.

المطلب الثاني: من ثمار تحقق وعد الله – عمرة القضاء –

• **تتشوف النفوس دائما إلى تحقق ما وُعِدَت به** من وعود وتحصلت عليه من عهود، لما لذلك من آثار طيبة عليها مثل تقوية القلوب وطمأنتها وتثبيت الإيمان وزيادته وزوال الشك والحيرة، وعلى قدر من أعطى الوعد يعظُم هذا التشوف ويهون الانتظار .

• **ومما اتفقت عليه القلوب الموقنة والنفوس الصادقة أنه لا أحد أصدق من الله تعالى** فإنه إذا حدّث صدق وإذا وعد وفّى، فوعده حتمي الوقوع مهما تأخر حدوثه أو طال وقت ترقبه، وليس هناك من أصدق من الله قيلا؟ وقد بين القرآن هذا الأصل الأصيل وشدد عليه في آيات كثيرة ليتمكن في نفوس المؤمنين فيسعدون بعيش هانئ وحياة طيبة مهما كثرت الابتلاءات لديهم وعظمت المصائب عندهم.

• **وفي تناوله المقتضب لعمرة القضاء**، والتي تشكل حدثًا هامًا من أحداث السيرة النبوية، أبرز القرآن هذا المعنى وزاد عليه من المعاني الجليلة أن أفعاله تعالى لا تنفك عن حكم كبيرة وغايات عظيمة قد يعلمها من يعلمها ويجهلها من يجهلها من الناس، المعنى الذي إذا توطن في قلوب المؤمنين كان سببًا في غرس أشجار الأمل المثمرة فيها وترسيخ ثقتها في الله تعالى كما أنه يزيل اليأس والقنوط عنها فتتنزل عليها السكينة وتمتلئ بالطمأنينة.

• **خلاصة عمرة القضاء باختصار:**

• **خلاصتها أنه لما رجع رسول الله** – صلى الله عليه وسلم – **من فتح خيبر في المحرم** سنة سبع أقام شهورًا في المدينة ثم خرج في ذي القعدة، في الشهر الذي كان المشركون قد صدوه فيه، معتمرًا عمرة القضاء مكان عمرته التي صدوه عنها، وذلك وفقًا لصلح الحديبية الذي نص على رجوع النبي – صلى الله عليه وسلم – عن مكة من غير عمرة وعودته إليها في العام المقبل.

• **فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ومعه المسلمون ممن كان صُد معه في عمرته تلك**، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه وصفوا له عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه، وكانت قريش تحدثت بينها أن محمدًا وأصحابه في عسرة وجهد وشدة.

• **قيل أنه: لما دخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المسجد اضطبع بردائه**، وأخرج عضده اليمنى، ثم قال: رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة[٢٠١]، ثم استلم الركن، وخرج يهرول ويهرول أصحابه معه، حتى إذا واراه البيت منهم، واستلم الركن اليماني، مشى حتى يستلم الركن الأسود، ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف، ومشى سائرها.

---

[٢٠١] والحديث ضعيف، يُنظر: تخريج الألباني لفقه السيرة: (٣٦٣).

شبكة الألوكة www.alukah.net

[٢٠٢]

• **هذا– وإن كان حديث: (رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة) فيه ضعف**، وهو من رواية أهل السير، لكن يشهد له ما رواه البخاري بسنده، قال: حدثنا سليمان بن حرب: حدثنا حماد، هو ابن زيد، عن أيوب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم رسول الله **– صلى الله عليه وسلم –** وأصحابه، فقال المشركون: إنه يقدم عليكم وفد وهنتهم حمى يثرب، وأمرهم النبي **– صلى الله عليه وسلم –** أن يرملوا الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا بين الركنين، ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم.

وزاد ابن سلمة، عن أيوب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما قدم النبي **– صلى الله عليه وسلم –** لعامه الذي استأمن، قال: (أرملوا). ليرى المشركون قوتهم، والمشركون من قبل قعيقعان. [٢٠٣]

• **وقد روى البخاري عن ابن عمر**(ت: ٧٣هـ) **– رضي الله عنهما–** : أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خرج معتمرًا، فحال كفار قريش بينه وبين البيت، فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية، وقاضاهم على أن يعتمر العام المقبل، ولا يحمل سلاحًا عليهم إلا سيوفًا، ولا يقيم بها إلا ما أحبوا، فاعتمر من العام المقبل، فدخلها كما كان صالحهم، فلما أن أقام به ثلاثًا، أمروه أن يخرج فخرج. [٢٠٤]

• **وبعد انتهاء عمرته، تزوج** [٢٠٥] – صلى الله عليه وسلم – **ميمونة** بنت الحارث الهلالية (ت: ٦١هـ) – رضى الله عنها–

• **ثم أقام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بمكة ثلاثًا**، ثم بنى بميمونة– رضى الله عنها – بسرف [٢٠٦]، ثم انصرف إلى المدينة في ذي الحجة.

• **هذا وقد روى البغوي عن يزيد بن الأصمّ** (ت: ١٠١هـ) **ابن أخت ميمونةَ**، عن ميمونةَ أن رسولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – تزوجَها وهو حلالٌ، وبنَى بها حلالًا، وماتتْ – يوم ماتت – بسرفٍ، ودفناها في الظلَة التي بنَى بِها فِيها. [٢٠٧]

• **وأنزل الله عز وجل علي النبي – صلى الله عليه وسلم – في يوم عمرة القضاء قوله – سبحانه –:**

---

[٢٠٢] الوعد الإلهي بين حتمية الوقوع وخفاء الحكمة: نظرات في تناول القرآن لعمرة القضاء، علي عبدالحكيم: موقع الألوكة، بتاريخ: ١٤٤٢/٨/١١ هـ – ٢٠١٠/٣/٢٥م.

[٢٠٣] رواه البخاري: (٤٠٠٩).

[٢٠٤] رواه البخاري: (٤٠٠٦).

[٢٠٥] أي عقد عليها ولم يبن بها بعد.

[٢٠٦] و(سرف) مكان يقع على طريق (المدينة النبوية – مكة المكرمة) قبل الوصول إلى مسجد التنعيم بعشرة كيلومترات، ولقد توفيت – رضي الله عنها– في نفس الموضع الذي زفت فيه إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – وذلك في (ت: ٦١هـ). وللاستزادة من سيرتها يُنظر: سير أعلام النبلاء – الصحابة رضوان الله عليهم– ميمونة أم المؤمنين–، الجزء الثاني: (ص: ٢٣٩: ٢٤٥).

[٢٠٧] أخرجه البغوي في شرح السنة، بسند صحيح: (١٥١/٤).

شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (الفتح: ٢٧)

• **ولقد عبَّر النبي – صلى الله عليه وسلم – عن عظيم فرحته بنزول سورة الفتح، ويدل على ذلك ما ثبت عند مسلم من حديث أنس بن مالك** (ت: ٩٣هـ) **– رضي الله عنه– قال:** "لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ﴾ إلى قَوْلِهِ ﴿ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الفتح: ١-٥) مَرْجِعَهُ مِنَ الحُدَيْبِيَةِ، وَهُمْ يُخَالِطُهُمُ الحُزْنُ وَالْكَآبَةُ، وَقَدْ نَحَرَ الهَدْيَ بِالحُدَيْبِيَةِ، فَقَالَ: لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ هي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا". (٢٠٨)

• **وروى عن ابن مسعود** (ت: ٣٢هـ) **– رضى الله عنه – أنه قال:** إنكم تعدون الفتح فتح مكة، ونحن نعدّ الفتح صلح الحديبية. (٢٠٩)

• **وقد أسرع الناس إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم –** وهو واقف على راحلته بكراع الغميم فقرأ عليهم ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا ﴾. فقال رجل: يا رسول الله، أفتح هو؟ قال: نعم، والذي نفسي بيده إنه لفتح(٢١٠) فانقلبت كآبة المسلمين وحزنهم إلى فرح غامر، وأدركوا أنهم لا يمكن أن يحيطوا بالأسباب والنتائج، وأن التسليم لأمر الله ورسوله فيه كل الخير لهم ولدعوة الإسلام. (٢١١)

• **وكان حديث القرآن الكريم عن صلح الحديبية في صدر سورة الفتح، له أسلوبه** الخاص في عرضه لهذا الفتح، فنجده في حديثه عنه قد سماه فتحًا مبينًا، رغم أنه لم يقع بين الفريقين أي قتال يذكر.

• **ويدل على ذلك قوله – صلى الله عليه وسلم – يوم صلح الحديبية:** "وَالَّذِي نَفْسِي بيده، لاَ يسألوني خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فيها حُرُمَاتِ اللَّهِ إلا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا". (٢١٢)

• **قال الخطابي**(ت: ٣٣٨هـ) **– رحمه الله–:**

"وقوله: وَالَّذِي نَفْسِي بيده، لاَ يسألوني خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فيها حُرُمَاتِ اللَّهِ إلا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا، يريد والله أعلم المصالحة والجنوح إلى المسالمة وترك القتال في الحرم والكف عن إراقة الدماء فيه، وهو معنى تعظيم حرمات الله". (٢١٣)

ويؤيد ذلك– أيضًا– قوله – صلى الله عليه وسلم – لـ "بُدَيْلِ بن وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ" (٢١٤): (إِنَّا لم نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ،

---

(٢٠٨) رواه مسلم: (١٧٨٦).

(٢٠٩) تفسير المراغي: (٨١/٢٦).

(٢١٠) سنن أبي داود، معالم السنن، كتاب الجهاد: (٢٧٣٦).

(٢١١) السيرة النبوية الصحيحة: (٤٤٩/٢).

(٢١٢) رواه البخاري: رقم: (٢٧٣١، ٢٧٣٢) (٥/ ٣٨٨).

(٢١٣) معالم السنن في شرح سنن أبي داود، للخطابي: (٢/ ٣٢٨).

(٢١٤) وقد جاءه بُدَيْلُ بن وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ من قَوْمِهِ من خُزَاعَةَ وَكَانُوا عَيْبَةَ نُصْحِ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم من أَهْلِ تِهَامَةَ فقال: إني تَرَكْتُ كَعْبَ بن لُؤَيٍّ وَعَامِرَ بن لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَةِ، وَمَعَهُمْ الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ(أ)، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عن الْبَيْتِ.

شبكة الألوكة www.alukah.net

وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قد نَهِكَتْهُمْ الْحَرْبُ (وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شاؤوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ الناس، فَإِنْ أَظْهَرْ، فَإِنْ شاؤوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دخل فيه الناس فَعَلُوا، وَإِلاَّ فَقَدْ جَمُّوا)، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَوَ الَّذِي نَفْسِي بيده لَأُقَاتِلَنَّهُمْ على أَمْرِي هذا حتى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي(وَلَيُنْفِذَنَّ الله أَمْرَهُ).[٢١٥]

والمغيبات المستقبلية أكثر من أن يحصيها بحث أو مقال، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.[٢١٦] والحمد لله على كل حال.

خاتمة البحث، وبيان أهم النتائج التي توصلت لها تلك الدراسة المختصرة:

أ- خاتمة البحث

في ختام تلك الدراسة المتواضعة يسأل الباحثُ ربَه الكريمَ المنان ذا الجَد والجود والإكرام والإفضال والإنعام أن يكون قد وفق في حدود قدراته وإمكاناته في إبراز وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم من خلال تناول تلك الدراسة المتواضعة، وأن يكتب لها القبول في السماء والنفع في الأرض، وأن يجعلها ذخرًا لكاتبها وقارئها وناشرها والساعي فيها بالخير بين البرايا يوم العرض.

ب- بيان أهم النتائج التي توصلت لها تلك الدراسة المختصرة

لقد توصلت تلك الدراسة المتواضعة لنتائج جمة، ولعل من أبرزها ما يلي:

أولًا: أن أصول الْمُغَيَّبات في القرآن ترجع إلى ثلاثة أمور

الأمر الاول: الإخبار عن رب العزة تبارك وتعالى.

والأمر الثاني: الإخبار عن الأُمم السابقة وأحوالها

والأمر الثالث: الإخبار عن بعض آيات الكونية وما يجري فيها من قضاء الله وقدره

ثانيًا: أن الْمُغَيَّبات في القرآن تتعلق بالأزمنة الثلاثة، بالماضي السَّحِيق، وبالزمن الحاضر الواقع في زمنِ نزول القرآن، وبالغُيُوبِ المستقبليَّة

ثالثًا: إن تحقق وقوع الْمُغَيَّبات كما أخبر الله تبارك وتعالى فيه أعظم الدلائل وأوضح البراهين على صدق القرآن وسلامته من التحريف والتغيير والتبديل والزيادة والنقصان وأنه كلام رب العالمين

رابعًا: في إعجاز القرآن وإخباره عن الْمُغَيَّبات على لسان نبي أمي لم يتلق قبله من كتاب، ولم يعلمه بشر، إثبات للنبوة وصدق للرسالة وصحة وسلام للدين

أ- العوذ المطافيل: يريد النساء والصبيان، والعوذ: جمع عائذ وهي الناقة التي وضَعَتْ...، والمطافيل: جمع مطفل وهي الناقة معها فصيلها: ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين: (ج١/ ٣٩٧).

[٢١٥] واه البخاري رقم: (٢٧٣١، ٢٧٣٢) (٥/ ٣٨٨، ٣٨٩).

[٢١٦] يُنسب هذا المثل لـ"عقيل بن علفة"، يُنظر: مع الجواهر في الملح والنوادر (٤٦/١)، وقد سبق الإشارة إليه سابقًا.

شبكة الألوكة www.alukah.net

خامسًا: حث الشرع الحنيف على التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب، وأن تعاطي الأسباب والأخذ والعمل بها يُعد من التوكل، وأن ادعاء التوكل مع تعطيل الأسباب ينافي سنن الله الكونية في خلقه، ويخالف الأسباب الشرعية التي شرعها الله لعباده وقدرها لهم وحثهم على الأخذ بها مع التوكل والاعتماد عليه سبحانه وحده لا شريك له، فلا يحل لمؤمن لبيب عاقل ادعاء التوكل مع تعطل الأخذ بالأسباب، بل لا يتحقق له حقيقة التوكل إلا بتعاطي الأسباب والأخذ بها كما أمر الله وشرع لعباده، وأن ترك الأسباب قدح في التشريع، والتوكل عليها قدح في الاعتقاد، – وقد – قال رجُلٌ لِلنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : أُرسِلُ ناقتي وأتوكَّلُ ؟ قال: (اعقِلْها وتوكَّلْ). [٢١٧]

وبهذا يتضح الأمر ظاهرًا جليًا للعيان.

أملاه

العبد الضعيف الفقير إلى عفو ربه ومغفرته

عَرَفةُ بْنُ طَنْطَاوِيّ

الرياض في:١٧/٥/١٤٤٣هـ

البريد: arafatantawy@hotmail.com

واتساب: ٠٠٩٦٦٥٠٣٧٢٢١٥٣

[٢١٧] حديث حسن، تخريج صحيح ابن حبان، شعيب الأرناؤوط: (٧٣١).

مجموع الفهارس

أ- فهرس المراجع

١- الإتقان في علوم القرآن المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م عدد الأجزاء: ٤.

٢- أسباب نزول القرآن المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح - الدمام الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٣- أسرار ترتيب القرآن المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع عدد الأجزاء: ١.

٤- إعجاز القرآن للباقلاني المؤلف: أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: ٤٠٣هـ) المحقق: السيد أحمد صقر الناشر: دار المعارف - مصر الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م عدد الأجزاء: ١.

٥- الأعلام المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

٦- تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م عدد الأجزاء: ٢٤.

٧- تفسير الواحدي: الوسيط في تفسير القرآن المجيد المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م عدد الأجزاء: ٤.

٨- تفسير ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٩- تفسير البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م عدد الأجزاء: ٨.

شبكة الألوكة www.alukah.net

١٠- تفسير أبي حيان: البحر المحيط في التفسير المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
١١- تفسير ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٩هـ.
١٢- تفسير الشوكاني: فتح القدير المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.
١٣- تفسير الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ عدد الأجزاء: ١٦ (١٥ ومجلد فهارس).
١٤- تفسير القرآن الحكيم المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ١٢ جزءًا.
١٥- تفسير ابن سعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م عدد الأجزاء: ١.
١٦- تفسير ابن عاشور: التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، عدد الأجزاء: ٣٠ (والجزء رقم ٨ في قسمين).
١٧- تفسير الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
١٨- تفسير ابن عثيمين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م عدد الأجزاء: ١.
١٩- الرسل والرسالات المؤلف: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي الناشر: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت الطبعة: الرابعة، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م عدد الأجزاء: ١.
٢٠- السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شُهبة (ت: ١٤٢٧هـ)، (الطبعة الثامنة)، دمشق: دار القلم.

شبكة الألوكة www.alukah.net

٢١- السيرة النبوية - دروس وعبر المؤلف: مصطفى بن حسني السباعي (المتوفى: ١٣٨٤هـ) الناشر: المكتب الإسلامي الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م عدد الأجزاء: ١

٢٢- سبل السلام من صحيح سيرة خير الانام عليه الصلاة والسلام، (الطبعة الثانية)، اليمن: مكتبة الغرباء الأثرية، صالح عبد الواحد (ت: ١٤٢٨هـ).

٢٣- عَرَفة بْنُ طَنْطَاوِيّ، جَنَى الحُرْفَةِ في إبطالِ القولِ بالصَّرْفةِ، بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية- مجلة محكمة- العدد الستون، تاريخ النشر: صفر١٤٤٢هـ.

٢٤- عَرَفة بْنُ طَنْطَاوِيّ، الشُّفْعَة بَيْنَ الجَمْعِ العُثْمَانِيّ وَالأَحْرُفِ السَّبْعَةِ بحث محكم مجاز للنشر من مجلة الدراسات الشرعية(مجلة محكمة) في شهر الثاني من محرم ١٤٤٣هـ، عدد الأجزاء٢، (عدد الصفحات: ٨٠٥).

٢٥-عَرَفةُ بْنُ طَنْطَاوِيّ، الذَّهَبُ الإِبْرِيزُ فِي خَصَائِصِ الكِتَابِ العَزِيزِ، (د. ت).

٢٦- غريب القرآن المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) المحقق: أحمد صقر الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية) السنة: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

٢٧- معجم مقاييس اللغة المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. عدد الأجزاء: ٦.

٢٨- مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ١.

٢٩- مناهل العرفان في علوم القرآن المؤلف: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ) الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة: الطبعة الثالثة عدد الأجزاء: ٢.

٣٠- مباحث في علوم القرآن المؤلف: مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م عدد الأجزاء: ١.

٣١- مجموع الفتاوى المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٣٢- مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين المؤلف : محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى : ١٤٢١هـ) جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان الناشر : دار الوطن - دار الثريا الطبعة : الأخيرة - ١٤١٣ هـ عدد الأجزاء : ٢٦.

٣٣- النبوات المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م عدد الأجزاء: ٢.

شبكة الألوكة www.alukah.net

ب- فهرس الموضوعات

دِيْبَاجَةُ البَحْث **٥**

ملخص البحث **٥**

منهجية البحث **١٠**

أولًا: أهمية موضوع البحث ١٠

ثانيًا: أهم الدراسات السابقة وأبرزها ١٠

ثالثًا: أسباب ودواعي اختيار موضوع البحث: ١٢

رابعًا: أهداف البحث ١٣

خامسًا: منهج البحث ١٣

الفصل الأول: الإعجاز والمعجزة **١٤**

المبحث الأول: مفهوم الإعجاز والمعجزة **١٤**

المطلب الأول: بيان مفهوم الإعجاز في اللغة ١٤

المطلب الثاني: بيان مفهوم المعجزة في اللغة ١٥

المطلب الثالث: بيان مفهوم الإعجاز والمعجزة اصطلاحًا ١٥

أ- المعجزة اصطلاحًا: ١٥

ب- الإعجاز اصطلاحًا ١٨

المبحث الثاني: مفهوم الغيب **١٩**

المطلب الأول: مفهوم الغيب لغةً: ١٩

المطلب الثاني: مفهوم الغيب اصطلاحًا ١٩

المبحث الثالث: مفهوم الإعجاز الغيبي **٢٠**

المطلب الأول: مفهوم الإعجاز الغيبي في الاصطلاح: ٢٠

المطلب الثاني: مفهوم الإعجاز الغيبي في القرآن ٢٠

المطلب الثالث: مفهوم الغيب المطلق في الاصطلاح ٢٠

المطلب الرابع: من مشاهد الغيب المطلق في القرآن ٢٠

المبحث الرابع: أصول الْمُغَيَّبات في القرآن **٢١**

المطلب الاول: الإخبار عن رب العزة تبارك وتعالى ٢١

المطلب الثاني: الإخبار عن الأُمم السابقة وأحوالها ٢٢

المطلب الثالث: الإخبار عن بعض آيات الكونية وما يجري فيها من قضاء الله وقدره ٢٢

الفصل الثاني: الْمُغَيَّبات التي تَتَعلَّق بالماضي **٢٤**

المبحث الأول: أقسام الْمُغَيَّبات في القرآن إجمالًا **٢٤**

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الأول: الْمُغَيَّبات التي تَتَعلَّق بالماضي السَّحِيق ٢٥
المطلب الثاني: الْمُغَيَّبات التي تَتَعلَّق بالزمن الحاضر الواقع في زمنِ نزول القرآن ٢٦
المطلب الثالث: الْمُغَيَّبات التي تَتَعلَّق بغُيُوبٍ مستقبلِيَّة ٢٧
المبحث الثاني: الْمُغَيَّبات التي تَتَعلَّق بالماضي تفصيلًا ٢٨
المطلب الأول: ذكر نبأ أبينا آدم أبي البشر عليه السلام ٢٩
المطلب الثاني: ذكر نبأ نوح عليه السلام: ٣٠
المطلب الثالث: ذكر نبأ أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام ٣٠
المطلب الرابع: ذكر نبأ موسى عليه السلام ٣٢
المطلب الخامس: ذكر نبأ عيسى عليه السلام ٣٦
المبحث الثالث: الإخبار عن الكثير من قصص الأولين وأخبار السابقين ٣٨
المطلب الأول: الإخبار عن نبأ قوم عاد وثمود وما أصابهما من بلاء وعذاب ٣٨
المطلب الثاني: الإخبار عن العزير ٣٩
المطلب الثالث: الإخبار عن أبرهة الأشرم وحادثة الفيل ٣٩
الفصل الثالث: الْمُغَيَّبات التي تَتَعلَّق بالزمن الحاضر الواقع في زمنِ نزول القرآن ٤١
وفيه مبحثان: ٤١
المبحث الأول: الإخبار عن النفاق وحال المنافقين ٤١
المطلب الأول: الإخبار بما يبطنه الأخنس بن شريق الثقفي ٤١
المطلب الثاني: الإخبار بما يبطنه بعض المنافقين من إرادة الفتك برسول الله- ٤٢
المطلب الثالث: فضْحُ مَكايد المنافِقين ومُؤامراتهم في اتخاذهم لمسجد الضرار ٤٢
المطلب الرابع: الإخبار عن إخلاف الوعد من قبل بعض المنافقين ٤٧
المطلب الخامس: الإخبار عن ابن سَلُول رأس المنافقين ٤٧
المبحث الثاني: الإخبار عن نصرة الله لرسوله وللمؤمنين والتمكين لهم في الأرض وتحقق ذلك ٤٨
المطلب الأول: تحقق وعد الله بعصمة نبيه – صلى الله عليه وسلم – حتى يبلغ رسالة ربه ٤٨
المطلب الثاني: الإخبار عن تجمع الأحزاب وتحقق هزيمتهم ٥١
المطلب الثالث: الإخبار عن تحقق وعد الله بنصر المؤمنين ٥٣
المطلب الرابع: الإخبار عن تحقق وعد الله بالاستخلاف في الأرض للنبي- صلى الله عليه وسلم – وأصحابه ولعموم المؤمنين من أمته ٥٣
المطلب الخامس: الإخبار عن تحقق وعد الله بعودة النبي لمكة بعد أن أخرجه قومه منها ٥٥
المطلب السادس: الإخبار عن تحقق وعد الله بنصرة المهاجرين – خاصة – ٦٠
الفصل الرابع: الإخبار عن الأمور الغيبية التي تتعلق بغُيُوبٍ مستقبلِيَّة ٦٢
المبحث الأول: انتصار الروم على الفرس ٦٢

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الأول: الإخبار عن انتصار الروم على الفرس بعد هزيمتهم من قبَلهم أول الأمر ٦٢
المطلب الثاني: سبب فرح المؤمنين بانتصار الروم على الفرس..... ٦٣
المبحث الثاني: وقوع غزوة بدر وانتصار المسلمين فيها..... ٦٥
المطلب الأول: الإخبار عن وقوع غزوة بدر وانتصار المسلمين فيها، وتحقق ذلك النصر..... ٦٥
أولًا: الإخبار عن وقوع غزوة بدر ٦٥
ثانيًا: الإخبار عن انتصار المسلمين في غزوة بدر وتحقق ذلك النصر..... ٦٦
المطلب الثاني: الثقة بوعد الله بتحقق النصر لا يتنافى مع الأخذ بالأسباب..... ٧٠
المبحث الثالث: الإخبارٌ عن موت أبي لهب وامرأته على الكفر وتحقق ذلك ٧٣
المطلب الأول: الإخبارٌ عن موت أبي لهب وامرأته على الكفر ٧٣
المطلب الثاني: إعجاز القرآن في تحقق نبوءته بموت أبي لهب وامرأته على الكفر..... ٧٤
المبحث الرابع: توعد رب العزة تبارك وتعالى الوليد بن المغيرة بالعذاب الأليم والإخبار عن سوء خاتمته وموت على الكفر وتحقق ذلك..... ٧٦
المطلب الأول: نزول آيات متتابعات في شأن هلاكه ٧٦
المطلب الثاني: تحقق وعيد رب العزة تبارك وتعالى فيما توعده به والإخبار عن سوء خاتمته وموت على الكفر ٧٨
الوقفة الأولى: إدراكه للبعثة وموقفه منها ٧٨
الوقفة الثاني: النبوة منحة إلهية ٧٩
الوقفة الثالثة: توعد رب العزة تبارك وتعالى بسبب كفره وجحوده..... ٧٩
الوقفة الرابعة: سبب وزمن نزول سورة المدثر ٨٠
الوقفة الخامسة: تحقق ما أخبر الله به من هلاكه وسوء خاتمته وموته على الكفر:..... ٨١
المبحث الخامس: تحقق الفتح المبين..... ٨١
المطلب الأول: إخبار الله عن رؤيا رسوله – صلى الله عليه وسلم – وتحقق الفتح المبين ٨١
المطلب الثاني: من ثمار تحقق وعد الله – عمرة القضاء – ٨٣
مجموع الفهارس..... ٨٨
أ– فهرس المراجع..... ٨٨
ب– فهرس الموضوعات..... ٩٠

المركز في سطور

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه.

وبعد:

فإنَّ شرف العلم من شرف المعلوم، وشرف كل علم بشرف متعلقه، وعلوم القرآن متعلقة بأشرف كتاب ألا وهو كتاب الله تعالى، ولذا تُعَدُ علومُ القرآن من أجلّ العلوم؛ بل ومن أشرفها وأبركها وأعلاها قدرًا وأزكاها، وأعظمها أثرًا ونفعًا، والبشرية عمومًا والأمة خصوصًا لها أكثر احتياجًا على مر العصور والأزمان؛ وذلك لمسيس الحاجة لفهم معاني آي التنزيل، وإيضاح غريب ومبهم القرآن، وبيان مقاصده وأحكامه، وبيان دلائل هداياته، والجواب عن تساؤلاته، وبيان مجمل معاني آياته.

* وأهل هذا العلم نالوا شرفًا مرومًا، وعلوَ قدرٍ وشأنٍ، ورفعةَ مكانةٍ، وسموَ رتبةٍ؛ إذْ جعلَهم اللهُ مرجعًا للعباد في الدلالة على إيضاح المراد من كلامه سبحانه وتعالى، وأي شرف يعدل هذا الشرف!

* ولا شك أن هذا من أعظم الدوافع وأعظم المطالب الداعية للتنافس في بذل العمر النفيس والوقت الغالي العزيز لنيل أعظم المراتب وأشرف الأماني، وهذا مما يعين على البذل والتضحية في التنقيب والبحث في علوم القرآن بعلو همةٍ وإقبالِ نفس لتحقيق تلك الرتب العالية، والفوز بالمكانة الرفيعة السامية، ونيل تلك المآرب الشريفة الغالية.

* هذا مع ما يمن الله به على من اشتغل بهذا العلم الشريف من التعلق بكتاب ربه وعمارة وقته وحياته به، وينزِّل الله عليه من السكينة والطمأنينة وشآبيب الرحمة، مع ما يورثه ربُهُ من انشراحٍ لصدره وطمأنينة لنفسه وتزكية لفؤاده وصلاح في معاشه، مع ما أعده له من جزيل عطائه وجزيل ثوابه في معاده، هذا مع ما يعود نفعه لعباده ببيان وإيضاح معاني تأويل كتابه والكشف عن أسرار تنزيله وبيان معاني آياته.

قال سبحانه في شأن كتابه:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

* ومركز تأصيل علوم التنزيل للبحوث العلمية والدراسات القرآنية يسعى لتقديم أهم مباحث علوم القرآن الكريم في ثوب قشيب وحلل زاهية بتقريب معاني تلك الدراسات وتسهيلها وتقديمها بأسلوب سهل التناول قريب المأخذ سهل المنال يتناسب مع عموم المسلمين، مع ما ينهجه في ذلك من الأسلوب العلمي وطريقة البحث المنهجي التربوي الذي يفيد الباحثين المختصين.

* كما أن من أبرز أهداف المركز وأجلّها العناية بمنهج وعقيدة أهل السنة والجماعة في كل ما يقدمه، مع تفنيد العقائد والمناهج المخالفة لمنهج الفرقة الناجية الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة -أهل السنة والجماعة.

* تلك هي أبرز الدوافع الداعية لتأسيس مركز تأصيل علوم التنزيل للبحوث العلمية والدراسات القرآنية، لخوض البحث والتنقيب عن علوم القرآن وتقديمها للمسلمين عمومًا وللباحثين المختصين خصوصًا؛ وذلك لتعلقها بأشرف وأعظم وأجلّ كتاب ينبغي أن تبذل من أجل فهمه وتدبره والعمل به والتحاكم إليه والتداوي به، الهمم العوالي والمهج الغوالي والعمر النفيس الغالي.

* كما يسعى المركز فيما يقدمه من بحوث علمية بتخريج الأحاديث النبوية وعزوها لمصادرها الأصلية والحكم عليها، عدا ما كان في الصحيحين لتلقي الأمة لهما بالقبول، وتنقية البحوث من الأحاديث المكذوبة والموضوعة والضعيفة قدر الممكن والطاقة.

* كما يسعى المركز كذلك في تقديم مادة علمية خالية من البدع والمحدثات والخرافات والإسرائيليات وكل ما علق بمصنفات علوم القرآن من كل ما لا يمت بدين الله وشرعه المطهر بصلة، ومن كل ما يخالف منهج أهل السنة والجماعة عقيدةً، وشريعةً، ومنهاجًا، قدر الممكن والطاقة والإمكانات المتاحة.

المشرف العام

من إصدارات المركز

موسوعة
" تأصيل علوم التنزيل"

وَهَذه ضِمْن مُؤَلَّفات العبد الضَعيف الفَقير إلى عَفْو رَبِّه وَرَحْمَته وَمَغْفرته:

عرفة بن مصطاوي

عَفَا اللَّه عَنْهُ

الرَّئيسُ العَامُ لِمَرْكَز تَأْصِيل عُلوم التَنْزِيل للبُحوث العلْمية وَالدِّرَاسَات القُرآنية

وها هي مرتبة على النحو التالي:

١- مَعَالمُ التَّوْحيد في فَاتحَة الكتَاب. (دراسة تحليلية موضوعية)، (رسالة دكتوراه (مطبوع ومنشور عن دار المأثور- بالمدينة النبوية-١٤٤١هـ)

٢- عنايَةُ الإسْلام بتَرْبيَة الأبْنَاء كَمَا بَيَّنَتْهَا سُورَةُ لُقْمَانَ، (دراسة تحليلية موضوعية) في مجلدين (رسالة ماجستير)

٣- التقرير لأصول وقواعد علم التفسير - مقرر دراسي"دراسات عليا"

٤- تعليم المتعلمين طرق ومناهج المفسرين - مقرر دراسي"دراسات عليا"

٥- المدخل الموسوعي لدراسة التفسير الموضوعي - مقرر دراسي "دراسات عليا"

٦- المنهج التأصيلي لدراسة التفسير التحليل - مقرر دراسي "دراسات عليا"

٧- دلائل التوفيق لأصح طريق لجمع الصديق - مقرر دراسي "دراسات عليا"

٨- الشُّفْعَةُ بَيْنَ الجَمْع العُثْمَانيّ وَالأَحْرُف السَّبْعَة في (مجلدين) وهذا البحث يعُد موسوعة علمية مستقلة.

٩- أَحْسَنُ المَناحي في إثْبات أَنَّ الرَّسْمَ العُثْمَاني تَوْقيفي لا اصْطلاَحي

١٠- الفتح الرباني في دلائل الإعجاز البياني - مقرر دراسي "دراسات عليا"

١١- صيَانَةُ كَلَام الرَّحْمَن عَنْ مَطَاعن أَهْل الزَّيغ والرَّوَغَان - مقرر دراسي "دراسات عليا"

١٢- موقف علماء الشيعة الإمامية من المصاحف العثمانية - مقرر دراسي "دراسات عليا"

١٣- الذَّهَبُ الإبْرِيزُ في خَصَائص الكتَاب العَزيز

١٤- جَنَى الخُرْفَة في إبطال القول بالصَرْفَة - مقرر دراسي "دراسات عليا"

١٥- آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ في إعْجَاز القُرْآن في إخْباره عَنْ المُغَيَّبَات (دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ)

١٦- التِّبْيَانُ في بَيَان وُجُوه الإعْجَاز التَّشْريعيّ في القُرْآن

١٧- إيجاز القول في الإعجاز

١٨- التحدي في القرآن

١٩- صَحيحُ المَنْقُول المُوافقُ لصَريح المَعْقُول في مُنَاقَشَة ثَلاَثَة تَفَاسيرَ رُتّبَتْ على تَرْتيب النُّزُول.

٢٠- **البُرْهَانُ فِي حَقِيقَةِ حُبِ النَّبِيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وَأَصْحَابِهِ لِلقُرْآنِ**

٢١- **إِتْحَافُ أَهْلِ الإِيمَانِ بِدِرَاسَةِ الجَمْعِ الصَّوْتِي لِلقُرْآنِ** "الجَمْعُ الرَّابِعُ لِلقُرْآنِ الكَرِيمِ"- تَارِيخٌ- وَأَحْدَاثٌ - وَقَائِعُ- وَأَحْكَامٌ - "دِرَاسَةٌ تَأْرِيخِيَّةٌ تَأْصِيلِيَّةٌ"

٢٢- **آفَاتٌ وَمُعَوِقَاتٌ فِي طَرِيقِ التَّسْجِيلِ الصَّوتِي لِلقُرآنِ**

٢٣- **بُلُوغُ المَرَامِ فِي قِصَّةِ ظُهُورِ أَوَلِ مُصْحَفٍ مُرَتَلٍ فِي تَارِيخِ الإِسْلَامِ**

٢٤- **تَوْجِيهُ أَهْلِ الإِيمَانِ لِضَوَابِطِ تَسْجِيلِ القُرْآنِ**

٢٥- **الكَوَاشِفُ الجَلِيَّةُ فِي حُكْمِ قِرَاءَةِ القُرْآنِ بِالمَقَامَاتِ المُوسِيقِيَّةِ**

أو: فصل النزاع بين التغني بالقرآن وتلاوته بـ "مقامات الشيطان"

٢٦- **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**

٢٧- **التَّبصِرَة لمن أراد بتعليم القرآن وجه الدار الآخرة** (مطبوع ومنشور عن دار المأثور- بالمدينة النبوية-١٤٣٧هـ)

٢٨- **تَبْصِرَةُ أُولِي الأَلْبَابِ بِمَعَانِي فَاتِحَةِ الكِتَابِ** - مقرر دراسي "دراسات عليا"

٢٩- **كَشْفُ الوَقِيعَةِ فِي بُطْلَانِ دَعْوَى التَّقْرِيبِ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالشِّيعَةِ**

٣٠- **التَّقِيَّةُ أَسَاسُ دِينِ الشِّيعَةِ الإِمَامِيَّةِ**

٣١- **قَطْعُ العَلَائِقِ لِلتَّفَكُرِ فِي عُبُودِيَّةِ الخَلَائِقِ**

٣٢- **الآداب النبوية والأحكام الشرعية في عيادة المريض وعبادته** (مطبوع ومنشور عن دار المأثور-بالمدينة النبوية-١٤٣٧هـ)

٣٣- **(التوحيد من الكتاب والسنة)** (مفهومه ومعناه-حقائقه وفضائله-دلائله ونواقضه)

٣٤- **دليل الطالع والنازل في بيان حقيقة أعلى المنازل.** (إياك نعبد وإياك نستعين)

٣٥- **ألطف اللطائف في بيان سبل الثلاث طوائف:** (المنعم عليهم- المغضوب عليهم - الضالين)

٣٦- **أوضح البيان في حقيقة نبوة لقمان**

وغيرها من البحوث - قيد التنسيق- .

مركز تأصيل علوم التنزيل
للبحوث العلمية والدراسات القرآنية